لغة القرآن في
بيان سُبُلِ الشَّيْطان

الأستاذ الدكتور
عادل محمد إبراهيم حسن
أستاذ أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية والعربيَّة بكفر الشيخ جامعة الأزهر
والوكيل السابق في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق

الناشر
دار الآفاق العربية

حسن ، عادل محمد ابراهيم
لغة القرآن في بيان سبل الشيطان
ط ١ ، القاهرة : دار الآفاق العربية ٢٠١٦
١٢٠ ص ، ٢٤ سم

١- الشياطين والجان في القرآن .
أ. العنوان ٢٢٩,٤١٣٣٤٢

تدمك : 978-977-344-342-9
رقم الإيداع : 25451/ 2015
الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

نشر – توزيع – طباعة
٥٥ شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : ٢٢٦١٧٣٣٩ -00202 تليفاكس : ٢٢٦١٠١٦٤ -00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل عباده الصَّالحين أولياءه ، وأولياء الشَّياطين أعداءه, فقضى بما شاء وقدَّر الفوز والنَّجاة لمن اتَّبع سبيله، والهلاك والعقوبة لمن اتبع السُّبُل فتفرَّق عن سبيله ، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمد- ﷺ - ، المعصوم بعصمة الله له ، والمصطفى باصطفائه له ، حفظه ربُّه وأنزل عليه كتابه فعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وعلى آله وصحبه الكرام الذين اهتدوا بهدى نبيِّهم فحازوا جنَّة ربِّهم .

أما بعد،،،،

بعض الناس يريد أن يعيش في عالم ملائكي لا غشَّ فيه ولا خداع , بعيدًا عن زخرف الحياة الدُّنيا وزينتها مع تحقيق أمر الله - ﷻ - في خلافة الأرض وعمارتها، فتبع سبيل ربِّه وهُداه فهدأت نفسه ، واطمأنَّ قلبه ، واستقرَّت حياته ، وبعضهم يريد أن يعيش في عالم الشَّياطين وما يحمله من شهوات ﴿ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِ ﴾[1] ، وذلك دون أن يرعى حقَّ الله أو يقيم حدوده ، أو يملك جماح نفسه من تسلط عالم الذُّنوب والمعاصي عليه ، فيحيا في ظلال الموت الذي يظنُّه حياة ، فيكون معصوب العينين أينما توجِّهه لا يأت بخير، فتتقاذفه السُّبُل ، فيعرض عن هدى ربِّه ، ويضل عن سبيل دينه القويم .

فالصُّورة الأولى تجسيد لحقيقة الإيمان ، ولم لا وصاحبها يريد أن يتشبَّه بملائكة الرَّحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ؟ .

والصُّورة الأخرى تجسيد لحقيقة الكفر والطُّغيان ، حيث يعزُّ على أصحابها مفارقة اللهو واللعب ، ويصرُّون على جوار الشَّيْطان ، ويأبون إلا الخروج من جنَّة الرَّحمن سبحانه وتعالى ، وهذه الصُّورة تخالف الصُّورة الأولى قلبًا وقالبًا.

فهذا هو آدم -عليه السلام- - خلقه الله - ﷻ - بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسكنه فسيح جناته بما فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم نهاه عن الأكل من

(1) آل عمران من الآية 14 .

الشَّجرة فأكل منها ، فعاتبه ربُّه – ﷻ – فأعلن توبته فتاب عليه ، وكذلك حال التَّوَّابين من ذريته ، فالتَّوبة والنَّدم والرجوع إليه سبحانه وتعالى علاج العصيان , وذلك حتى يظلَّ باب الرَّحمة مفتوحًا بين العبد وربِّه ، فتلك الصُّورة الأولى .

وهذا هو الشَّيْطان الذي أُمر بالسجود لآدم – عليه السلام – فأبى أن يكون مع السَّاجدين ، فعاتبه ربُّه – ﷻ – فلم يعد إلى رشده ولم يتب من ذنبه ، فطرد من رحمته وجنَّته إلى يوم يبعثون ، وفي النَّار ومن اتَّبعه وبئس المصير ، فتلك الصُّورة الأخرى .

ولكن مع إعلان الطَّاعة والولاء والتوبة من آدم – عليه السلام – إلا أنَّه أهبط إلى الأرض بأمر ربِّه وخرج من جنَّته مصحوبًا برحمة الله ورضوانه بعد أن تاب الله عليه ، وخرج إبليس مصحوبًا باللعنات والخزي والوبال والخسران بعد رفضه الخضوع لأوامر الله والامتثال لها .

وبعد إعلان قبول التَّوبة من آدم – عليه السلام – والسخط على الشَّيْطان لم يكن ليهدأ الشَّيْطان ، أو يرفع الرَّاية البيضاء رمزًا لخضوعه واستسلامه لأمر خالقه – ﷻ – ، بل أقسم على طرد ذرية آدم من رحمة الله وجنَّته جزاء وفاقًا إلا عباد الله المخلصين فليس له عليهم من سلطان .

ولكن كيف يتمكَّن من تحقيق هذه الأمنية وليست لديه الوسائل التي تساعده على ذلك ؟ ، فما كان منه إلا أن سأل ربَّه أن يمنحه هذه الوسائل التي تمكِّنه من إحاطته ببني آدم واستيلائه عليهم ، فأعطاها الله إياها ابتلاء واختبارًا لهم .

وانطلق الشَّيْطان في أرض الله مستثمرًا تلك الوسائل التي منحه الله إيَّاها ، يكيد لبني آدم ويمكر بهم ويخدعهم ، وذلك في إطار صور وأشكال مختلفة يعرضها عليهم صباح ومساء ، وفي كل لحظة من لحظات أعمارهم .

فما من يوم تشرق شمسه أو تغرب ، أو يبزغ فيه ضوء القمر أو يختفي ، أو يتعاقب فيه الليل والنهار إلا والشَّيْطان يترصَّد فيه لبني آدم ، يُزَيِّن لهم المنكرات ، ويُجَمِّل لهم الفواحش والموبقات ، ويُقَبِّح في أعينهم فعل الطَّاعات ، فما كان من بني آدم إلا أن توجَّه بعضهم إلى عبادة ما تعبَّدهم به الشَّيْطان، وآخرون هجروا دعوته ونبذوا عبادته إلى عبادة خالقهم الرَّحمن سبحانه وتعالى ، وذلك بما منحهم الله به من وسائل الهداية إلى الطَّريق المستقيم والدِّين القويم : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾(1)، فعلموا أن مصدر النُّور والضِّياء واحد لا يتعدَّد ، وهذا هو سبيل الله ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(2) ، وأما سُبُل الشَّيطان فهي ﴿ ظُلُمَـٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾(3) تتعدَّد صورها وتختلف أشكالها .

ومن هنا ذابت صورة الشَّيطان واختفت مع أولياء الرَّحمن ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(4)، ولكن ظهرت واتَّضحت رؤيته مع أوليائه ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾(5) .

وعندما سلك الشَّيطان هذه السُّبُل توجَّه بها إلى بني البشر جميعًا على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وألوانهم دون تفريق بين طبقة وأخرى ، فلم يترك ربوة أو واديًا أو جبلا أو بحرًا أو جوًّا إلا وقد أعلن عداوته لهم .

فإذا حلَّقَ الإنسان في سماء الله ترصَّد له ، وإذا هبط إلى الأرض قعد له ، وإذا ارتقى إلى قمة الجبال كان معه، وإذا نزل إلى الوادي انتظره ، وإذا غاص في أعماق البحار تقرَّب منه ، وهكذا لا يترك شبرًا من أرض الله إلا وكان لبني آدم بالمرصاد ، فالشَّيْطان وبنو آدم خصمان، ولن تنتهي هذه الخصومة إلا بعد إعلان النهاية ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٍ .وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾(6).

وقد خبر الشَّيطان بما منحة الله إياه حقيقة بني آدم ، وعرف نقاط الضَّعف فيهم ، فأيقظها في حياتهم ، وقوَّاها في نفوسهم ، فحادت عن منهج الله الذي رسمه لهم إلا عباد الله المخلصين الذين خبروا حقيقته ، فدعاهم فلم يُلَبُّوا ، وناداهم فلم يستجيبوا ، فضمن الرَّاحة والسَّلامة مع أوليائه ، وخاب وخسر مع أعدائه .

---

(1) الأنعام من الآية 153 .

(2) النور من الآية 35 .

(3) النور من الآية 40 .

(4) النحل من 99 .

(5) النحل من 100 .

(6) الرحمن الآيتان : 26 ، 27 .

وحتى ينجح الشَّيطان في آداء مهمته ، وتتحقَّق غايته في إضلال بني البشر واتِّباعهم لهواه لم يكن ليسلك مسلكًا واحدًا لا يحيد عنه ، أو يظهر بصورة واحدة لا تتغيَّر حتى يحذروه ويعرضوا عنه ، ولكن تشكَّلت صوره واختلفت ، حتى إذا فشل في تحقيق أمنية في صورة ما لجأ إلى أخرى حتى يحقق ما يريد ويصل إلى ما يصبو إليه .

وهذه الصُّور والأشكال المختلفة قد يتَّجه ببعضها إلى بني البشر جميعًا حتى يتمكَّن من تمزيق كلمتهم ، وتقويض بنيانهم فتضعف قواهم وتنهار أمام شدائد الحياة ، وقد يتَّجه بالأخرى إلى طائفة منهم ، وذلك من خلال استغلال جانب من جوانب حياتهم ، فعلى سبيل المثال قد يفسد عليهم رسالتهم ، أو قد تتحكَّم فيهم شهواتهم ، وتوجِّههم رغباتهم فيخرُّون له ساجدين - كما يظنُّ ويعتقد - .

ومن هنا ظهرت سُبُل الشيطان العامَّة والخاصَّة ، وكأنها محطَّة من محطات التمحيص والابتلاء والاختبار قدَّرها الله على بني آدم :﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

وعندما قرأت كتاب الله تعالى وحاولت تدبُّرَ ألفاظه ظهرت لي هذه السُّبُل بجانبيها العامِّ والخاصِّ ، وذلك من عدة لغات مختلفة ، فالعام قد تجسَّد مع بني آدم جميعًا، والخاصُّ قد تجسَّد مع أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ثم الخارجين عن حدوده ، فقمت بحصرها قدر جهدي ، ثم صنَّفتها إلى أربع رسائل ، كل رسالة منها تحتوي على مجموعة من الصُّور ، حيث تحمل كل صورة سبيلا من سُبُل الشَّيطان ، فقدَّمتها على النحو الآتي ، ثم صنَّفتها على الترتيب الألفبائي المعروف ،وباعتبار بداية تقديم هذه اللغات قدَّمت ذكر الشَّيطان في جميع الرَّسائل.

الرِّسَالة الأولى : لغة الشَّيْطان مع بني آدم عامَّة

ويندرج تحت هذه الرِّسالة ست من الصُّور :

الصُّورة الأولى: سبيل الإتيان — الصُّورة الثَّانية : سبيل الاحتناك

الصُّورة الثَّالثة: سبيل الخُطُوات — الصُّورة الرَّابعة : سبيل الفتنة

الصُّورة الخامسة: سبيل الاستفزاز — الصُّورة السَّادسة : سبيل القعود

(1) آل عمران الآية 141 .

الرِّسَالة الثَّانية : لغة الشَّيْطان مع أنبياء الله ورُسُله

وهذه الرِّسَالة تتضمن سبعًا من الصُّور :

الصُّورة الأولى : سبيل الزَّلل
الصُّورة الثَّانية : سبيل العمل
الصُّورة الثَّالثة : سبيل الإلقاء
الصُّورة الرَّابعة : سبيل النَّزغ
الصُّورة الخامسة : سبيل النِّسيان
الصُّورة السَّادسة : سبيل الهمزات
الصُّورة السَّابعة : سبيل الوسوسة

الرِّسَالة الثَّالثة : لغة الشَّيْطان مع الصَّالحين

تحتوي هذه الرِّسَالة على ثمان صور :

الصُّورة الأولى: سبيل الخُطُوات
الصُّورة الثَّانية: سبيل الخوف
الصُّورة الثَّالثة: سبيل الرِّجْز
الصُّورة الرَّابعة: سبيل الزَّلل
الصُّورة الخامسة: سبيل الطَّائف
الصُّورة السَّادسة: سبيل العمل
الصُّورة السَّابعة: سبيل الكيد
الصُّورة الثَّامنة : سبيل النَّجْوى

الرِّسَالة الرابعة : لغة الشَّيْطان مع الخارجين عن حدود الله

من خلال تسع من الصُّور يأتي مضمون هذه الرِّسَالة :

الصُّورة الأولى: سبيل الأزِّ
الصُّورة الثَّانية: سبيل التِّلاوة
الصُّورة الثَّالثة: سبيل التَّخبط
الصُّورة الرَّابعة: سبيل الدَّعوة
الصُّورة الخامسة: سبيل الزِّينة
الصُّورة السَّادسة: سبيل التَّسويل
الصُّورة السَّابعة: سبيل الضَّلال
الصُّورة الثَّامنة: سبيل الاستهواء
الصُّورة التَّاسعة : سبيل الوحي

الخاتمة : وهي تتضمن أهم النتائج التي قَدَّمتها هذه الدِّراسة .

هذا، ولغة الشَّيْطان أصبحت لغة العصر الآن إلا من رحم ربِّي وخاصَّة بعد أن سيطرت علينا الفتن وأظلتنا الشَّهوات ، وأصبحنا ندَّعي مجدًا تليدًا فخرًا بآبائنا وأجدادنا ، ثم فخرًا بحضارتنا ، أما آن لنا أن نفخر برسولنا – ﷺ – وصحابته الكرام الذين أقاموا شرع الله في الأرض ، ثم نفخر بأنفسنا ونعتز بها اتباعًا لهذا النَّهْج القويم ، حتى يهدينا ربُّنا إلى صراطه المستقيم .

وبعد ، فهذه هي ألفاظ القرآن الكريم تظهر بين ثنايا المصحف نورًا وبرهانًا يقرأها ويقرُّ بها المحبُّون والمخلصون لربِّهم سبحانه وتعالى فتتمكَّن في قلوبهم فتسطع عالية خفَّاقة ، دليلا على هدايتهم ورشدهم ونقاء سريرتهم ، وذلك كحبات اللؤلؤ التي تنتشر في السَّماء فتملأ الأرض بهاء ونورًا ، وهدى يهتدي بها كل حيران لا يجد لنفسه سبيلا ، وهذه الرَّسائل تمثل حَبَّة منها ، ولم لا وقد صيغت وأحكمت صياغتها من لدن حكيم خبير ؟ .

هذا ، و(لغة القرآن في بيان سُبُل الشيطان) هو العنوان الجامع لهذه الدِّراسة برسائلها الأربع ، و(القول المبين حول دلالة الألفاظ في القرآن الكريم) هو عنوان هذه السِّلسلة القرآنية التي تعلن ميلادها بميلاد هذه الدِّراسة مؤكِّدة دائمًا وأبدًا على أن القرآن الكريم هو سبيل وحدة هذه الأمَّة ، وعنوان سعادتها ، ومنهج تقدُّمها وحضارتها ، ولن تكتب لها النَّهضة في جميع الميادين ، وارتداء ثوب الإجادة والتَّمكين إلا في ظلال تعاليمه ، ومراعاة آدابه وأحكامه ، فحاول أيها القارئ الكريم تقليب صفحات هذه الدِّراسة وتصفح أوراقها ، وانتقل بروية وتؤدة من صورة إلى أخرى ومن سبيل إلى آخر حتى ترى بنفسك وعين بصيرتك القرآن الكريم وإبداعه في استخدام ألفاظه ، وبيان حكمه وأسراره ، وذلك من خلال لغته التي تتعامل بدقَّة مع جميع خصال النَّفس البشرية ونوازعها المختلفة ، واتجاهاتها المتعدِّدة ، وتصريحات الشَّيطان وتلميحاته بما يتلاءم ويتوافق معها ، وذلك في إبداع عجيب ونظم بديع .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]

(1) النحل من الآية 9.

الرِّسَالة الأولى : لغة الشَّيطان[1] مع بني آدم عامَّة

آجال معلومة وأيام معدودة – طالت أم قصرت – كتبها الله على بني آدم ، تبدأ بأول أنفاسه ونبضات قلبه رمزًا لعنوان الحياة ، وتنتهي بإعدام حركاته وسكناته توديعًا لها ، أودع الله فيها كثيرًا من الآمال والرغبات والأماني والأمنيات وقعَّدها بقواعد الدِّين ، وضبطها بضابط اليقين حتى تظلَّ في ظلِّ دائرة الإيمان .

ولكن الشَّيطان أدرك هذه الحقيقة وعلمها ، وخبر جوهرها وعنوانها ، فأبصر ليلها ونهارها ، فانطلق يعدُّ لهم العدَّة ، ويُجيِّش لهم الجيوش ، ويجهِّز لهم أخبث الوسائل والسُّبُل التي تمكِّنُه من السيطرة على قلوبهم ، فيزرع فيها بذور المعاصي والآثام ، ويُنَمِّي فيها حبَّ الشهوات واللذات فيحصد ثمار ذلك بُعْدًا عن منهج الله الذي رسمه لعباده في حياتهم الدنيا، فيحقِّق بذلك أمنيته ، ويصل إلى هدفه ، فيخرج الإنسان بذلك من دائرة الإيمان ، وبالتالي من جنَّة الرَّحمن سبحانه وتعالى ، كما خرج هو بعصيانه وإبائه السجود لآدم عليه السلام .

وهذه هي مجموعة من الأشكال والصُّور التي عرضها الشَّيْطان على بني آدم كما صوَّرتها وجَسَّدت ملامحها لغة القرآن الكريم .

الصُّورة الأولى : سبيل[2] الإتيان (أ ت ي)

عندما سلك الشَّيطان سبيل العصيان وعرف أنَّه من الهالكين أقسم على غواية بني الإنسان انتقامًا منهم وبغضًا لهم ، وحسدًا على منزلتهم عند ربِّهم ، فالجنَّة أعدِّت لهم إلا من أبى ، والنَّار أعدِّت له ومن تبعه منهم أجمعين ، فكانت بداية الشَّيْطان مع أول سبيل ترصَّد به لبني الإنسان كما صوَّره القرآن الكريم بـ (القعود) لهم على صراط الله المستقيم ، لصَدِّهم وإعراضهم عنه، ثم ثنَّي بسبيل (الإتيان) كمحاولة منه لاحتوائهم وإمكان السيطرة عليهم ، بحيث لا يدع لهم باب خير إلا أغلقه، ولا شعاع نور إلا أطفأه ، فيغلق عليهم بذلك جميع

---

(1) قال أبو عبيدة : الشَّيْطان اسم لكل عارم من الجنِّ والإنس والحيوانات . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ش ط ن) ص 383 – مكتبة الأنجلو المصرية 1970م .

(2) السَّبِيل : الطَّريق الذي فيه سهولة ... ويستعمل السَّبِيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيرًا كان أو شرًّا . السابق (س ب ل) ص 326 ، 327.

السُّبُل التي تمكِّنهم من فتح باب الصِّلة بينهم وبين ربِّهم ، ولفظة (الإتيان) تعني في عرف أهل اللغة بـ : المجيء بسهولة[1] .

وفي التعبير بلفظة (الإتيان) ما يلحظ منه أن ذلك لم يحدث من الشيطان عفوًا أو عن غير قصد، بل فيه إصرار على آداء رسالته، وجدٌّ في تحصيلها ، وذلك كمبعوث لتأدية مهمة ما يريد أن ينفذها على وجه الدِّقَّة دون تهاون أو تقصير ، فيجد الإنسان الطريق أمام عينيه معبَّدًا لا حواجز فيه ولا موانع ، فيقع في شراكه ، فتغلق العيون والقلوب أبوابها ، إعلانًا للقبول ، وتسليمًا بصداقة لا يرجى منها إلا الفساد والإفساد .

ولكن ماذا يريد الشيطان من بني آدم عندما يأتي إليهم في أي صورة من الصُّور أو شكل من الأشكال ؟ .

هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل ، وهو ما صوَّرته الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾[2]

فهذا الإتيان قد فصَّلته الآية في أربعة مداخل ، ثم ترجمه المفسِّرون في العبارات الآتية:

المدخل الأول (بين أيديهم): وتعني من قبل الآخرة ، فأزيِّن لهم التَّكذيب بالبعث ، وبالجَنَّة ، وبالنَّار .

المدخل الثاني (مِنْ خلفهم) : يعني من قبل الدنيا ، فأزيِّنها في أعينهم ، وأرغبِّهم فيها ، ولا يعطون فيها حقًّا .

المدخل الثالث (عن أيمانهم) يعني من قبل دينهم ، فإن كانوا على هدى شبَّهته عليهم حتى يشكُّوا فيه ، وإن كانوا على ضلالة زيَّنتها لهم .

المدخل الرابع (عن شمائلهم) : يعني من قبل الشَّهوات والَّلذات من المعاصي فأشهِّيها لهم [3].

---

(1) السابق ص 7 . وينظر : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق . أحمد عبد الغفور عطار 2261/6 – دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة 1404هـ – 1984م .

(2) الأعراف من الآية 17 .

(3) ينظر هذه الدلالات في : تفسير مقاتل بن سليمان . تحقيق . أحمد فريد 385/1 – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت– الطبعة الأولى 1424هـ – 2003م ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية – تحقيق . المجلس العلمي بفاس 23/7 – 1400هـ – 1980م ، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) تحقيق . هشام سمير البخاري 175/7 – عالم الكتب – الرياض– المملكة العربية السعودية – 1423هـ – 2003م ، ومعالم التنزيل (تفسير البغوي) – حقَّقه . محمد عبد الله النمر وآخرون – 218/3 – دار طيبة – الطبعة الرابعة 1417هـ – 1997م .

وقيل : " معناه – والله أعلم – ثم لآتينهم في الضَّلال من جميع جهاتهم ، وقيل من بين أيديهم ، أي لأضِلَّنَّهم في جميع ما يتوقَّع ، وقيل أيضًا : لأخوفنَّهم بالفقر ، والحقيقة – والله أعلم – أي أنصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم[1] " .

وكأنَّ الشَّيطان بهذه المداخل الأربعة قد أغلق على الإنسان كُلَّ جوانب النَّجَاة ، فكلما اتَّجَه إلى قبلة الخير وجدها موصدة ، ولكن قبلة الشر دائمًا وأبدًا مفتوحة على مصراعيها ، وفي هذا تمهيد لقبول الشَّرِّ والاحتكام إليه ، أوبالتعبيرالصَّحيح تمهيد لقبول إتيان الشَّيطان والتَّرحيب به ضيفًا عزيزًا في قلبه وعلى مائدته .

" وإنه سيأتي البشر من كل جهة : ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطَّاعة . وهو مشهد شاخص متحرك لإطباق إبليس على البشر في محاولته الدائبة لإغوائهم ، فلا يعرفون الله ولا يشكرونه ، اللَّهم إلا القليل الذي يفلت ويستجيب[2] " .

ولكن إذا كان الشَّيطان قد أغلق على بني الإنسان جميع الأبواب فلن يستطيع أن يحجب عنهم رحمة الله – ﷻ – ، لذلك قيل : " أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنَّه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله[3] " .

إذًا فتلك الحواجز التي بناها الشَّيْطان حول بني آدم ليحيط بهم من كل جانب لن يكسر حدودها ، ويُقَوِّض أركانها إلا رحمة الله – ﷻ – ، فليَسْع جميع بني البشر إلى إدراك هذه الرَّحمة ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[4] .

الصُّورة الثَّانية : سبيل الإحتناك (ح ن ك)

ظهرت بوادر الغيرة والحسد منذ بدء الخليقة بأقبح صورها وأسوأ حالاتها وتفرَّعت منها

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج.تحقيق د. عبد الجليل شلبي 324/2 – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية 1418هـ - 1997م .

(2) في ظلال القرآن . سيد قطب 1267/2 – دار الشروق – الطبعة الشرعية السابعة عشرة 1410هـ - 1990م .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 274/2 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى 1416هـ- 1996م .

(4) المطففين من الآية 26 .

جميع أشكال العنف والقسوة حتى كادت أن تأكل الأخضر واليابس لولا رحمة ربِّي .

يرقى آدم – عليه السلام – إلى عليين بسجود الملائكة له ، ويقذف الشيطان بحجارة من سجيل بعد إبائه الاستجابة لربِّه والامتثال له ، وفي هذه اللحظة يقسم الشَّيْطان أمام ربِّه سبحانه وتعالى لئن أخَّره إلي يوم القيامة فلن يكون له هدف سوى إضلال بني آدم وصدِّهم عن طاعة ربِّهم .

" وقد علم الخبيث أنَّهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازمًا ببذل مجهوده على إغوائهم ، ظنَّ وصدق ظنَّه ، فقال : ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(1)" .

إذًا فما أقسم به الشَّيْطان وعزم عليه قد يكون من قبيل " قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾(2) فإنَّه يفيد أنَّه قال ما قاله هنا اعتمادًا على الظَّنِّ ، وقيل إنَّه استنبط ذلك من قول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (3) ، وقيل : علم ذلك من طبع البشر لما ركب فيهم من الشَّهوات، أو ظنَّ ذلك لأنه وسوس لآدم، فقبل منه ولم يجد له عزمًا(4) "

وقد وصل الغضب بالشَّيْطان في هذا السَّبيل إلي أنَّه أقسم علي استئصال ذريه آدم والسَّيطرة عليهم إلا قليلا ، وذلك كما صوَّره الفعل (لأحتنكنَّ) في قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(5) .

فاحتناك الشَّيطان لبني آدم تتَّجه دلالته ، أو قل مجازه نحو " لأستميلنَّهم ولأستأصلنَّهم ، يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره : أخذه كله واستقصاه ، قال :

(1) الأعراف من الآية 17 . تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) . حقَّقه . عبد الرحمن بن معلا ص 284- مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م .

(2) سبأ من الآية 20 .

(3) البقرة من الآية 30 .

(4) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير للشوكاني 3/ 241 – دار المعرفة – بيروت – لبنان .

(5) الإسراء من الآية 62 .

نشكو إليك سنة قد أجحفت ⁂ جهدًا إلى جَهْد فأضعفت
واحتنكت أموالنا وجلَّفت[1]"

واستئصال الشَّيطان لبني آدم يعني الضَّلال والغواية ، حيث ذكر البغوي عن دلالة (لأحتنكنَّ) : " لأستأصلنَّهم بالإضلال . يقال : احتنك الجراد والزَّرع : إذا أكله كله ، وهو من قول العرب : حنك الدابة يحنكها : إذا شدَّ في حنكها الأسفل حبلا يقودها ، أي : لأقودنَّهم كيف شئت ، وقيل لأستولينَّ عليهم بالإغواء[2] " .

إذًا فالشَّيْطان يقسم بقوله (لأحتنكنَّ) على دلالة : " فلأستولينَّ عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم في قبضة يدي أصرف أمرهم[3] " .

" وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى ؛ لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد ، وإذا استولى عليهم فقد أضلَّهم[4] " .

وقد بَرَّ الشيطان بقسمه عندما استجاب له كثير من بني البشر وخضعوا له ، فأحاط بهم ، ووجَّه وجهة وجوههم وقلوبهم ، وبني بينهم وبين الحق جدارًا عازلا يحجب عنهم جميع القيم والأخلاق التي تسعدهم، وتضيىء درب حياتهم ، فامتلك مشاعرهم وأحاسيسهم ، وسيطر على أفئدتهم .

ولكن هناك من عباد الله – ﷻ – من هم إلى الله أقرب ، وعن معصيته أبعد ، وإذا خُيِّروا بين طاعة ربِّهم وهوى أنفسهم وشياطينهم كانت أنفاسهم تهيم في رحاب الله ، وقلوبهم تحيا مع سُنَّة نبيِّهم – ﷺ – ، وهؤلاء لن يستطيع الشَّيطان أن يستولي عليهم ، أوأن يتمكَّن من إضلالهم ، أو امتلاك قلوبهم كما يقول ربنا – ﷻ – : ﴿ **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾[5] .

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمَّر بن المثنى . علق عليه . محمد فؤاد سزكين 384/1 – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1374هـ - 1954م . وينظر البيت في : جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري . تحقيق. أحمد محمد شاكر 489/17 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م ، والجامع لأحكام القرآن 387/10 .

(2) معالم التنزيل 104/5 .

(3) في ظلال القرآن 2238/4 .

(4) جامع البيان 489/17 .

(5) طه من الآية 123 .

الصُّورة الثَّالثة : سبيل الخُطُوات

تتعدَّد الذُّنوب والمعاصي في عالم البشر لتعدُّد سُبُل الشَّيْطان ومسالكه ، حيث يحبو الشَّيْطان في قلوب بني آدم وتحبو معه الذُّنُوب والآثام عن طريق الَّلمم منها ، حتى إذا ما تمكَّنت منه ذهب به إلى طريق الكبائر ، والتي تعني محاربة منهج الله وشرعه الذي شرعه لعباده .

لذلك نهانا الله – ﷻ – في محكم كتابه عن اتباع (خُطُواته) التي هي إحدى سُبُله حتى لا يعبث بنا ويفسد علينا حياتنا ، فينتقل بنا من عالم عنوانه (الصَّغائر) إلى عالم عنوانه (الخارجون عن حدود الله)، وذلك بتوجيه رسالة إلى النَّاس عامَّة ، ثم ثلاث رسائل إلى المؤمنين خاصَّة[1] .

فرسالته إلى النَّاس عامَّة تأتي في قول الله – ﷻ – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

" فالخُطْوَة – بالضم –: ما بين القدمين ، وجمع القلَّة خُطُوات وخُطَوات وخُطْوات ، والكثير خُطىً[3] " .

ولكن دلالة (خُطُوات الشَّيْطان) في القرآن الكريم كانت محور خلاف العلماء ، فقيل بأنَّها عمله ، أو كل ما خالف القرآن فهو من خُطُوات الشَّيطان ، أو خطؤه ، أو نزغاته ، أو تزيينه ،أو كل معصية لله فهي من خُطُوات الشَّيْطان ، أو ما كان من يمين أو نذر في غضب فهو من خُطُوات الشَّيْطان وكفارته كفارة يمين ، وقيل غير ذلك[4] .

وهذه التفسيرات " قريب معنى بعضها من بعض ؛ لأنَّ كل قائل منهم قولا في ذلك ، فإنَّه أشار إلى نهي اتِّباع الشَّيْطان في آثاره وأعماله[5] " .

---

(1) وهي عنوان الصُّورة الأولى في الرسالة الثالثة .

(2) البقرة الآيتان : 168 ، 169 .

(3) الصحاح 6/2328 .

(4) الدر المنثور للسيوطي 1/403، 404 – دار الفكر – بيروت 1993م . وينظر : جامع البيان 3/31 ، 302 .

(5) جامع البيان 3/302 .

فالآية الأولى فيها إجمال بالتحذير من اتِّباع خُطُوات الشَّيْطان عامَّة ؛ لأن اتِّباع خُطُواته بداية ومقدمة للدخول في عالمه الذي يستعبد به قلوب بني آدم ، فإذا ما استعبدها فله عليهم حقُّ السَّمع والطَّاعة .

لذلك تأتي الآية الثانية " كالتَّفصيل لجملة عداوته، وهو مشتمل على أمور ثلاثة: **أولها :** السُّوء ، وهو متناول جميع المعاصي، سواء كانت تلك المعاصي من أفعال الجوارح أو من أفعال القلوب ، **وثانيها :** الفحشاء ، وهي نوع من السُّوء ؛ لأنها أقبح أنواعه ، وهو الذي يستعظم ويستفحش من المعاصي ، **وثالثها :** ﴿ أَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ كأنَّه أقبح أنواع الفحشاء ؛ لأنَّه وصف الله تعالى بما لا ينبغي من أعظم أنواع الكبائر ، فصارت هذه الجملة كالتفسير لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ فيدخل في الآية أن الشَّيْطان يدعو إلى الصَّغائر والكبائر والكفر والجهل بالله[1] " .

وقيل عن (الفحشاء) الزِّنا ، ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وهو ما كانوا يحرِّمون من البحائر والسَّوائب والوصائل والحوامى ويزعمون أن الله حَرَّم ذلك[2] .

ومن هنا فأوامر الشَّيْطان تتمُّ بشكل غير مباشر ، يتتبَّع بنو الإنسان خُطُواته ، ويسيرون على نهجه ، فيأتمرون بأمره ويسبِّحون له ، وينتهون بنهيه كأنَّهم له عابدون .

ثم تأتي آية أخرى بالأمر المباشر من الشَّيْطان لأوليائه بعد أن صرفهم عن طريق الهدى بقوله كما حَدَّثنا القرآن الكريم ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ ﴾[3] ، وذلك بعد أن صاروا عبيدًا له ، توجِّههم أهوائهم وشهواتهم ؛ يأمرهم فيسلِّمون ويستسلمون ، وكأنَّهم قد أصبحوا طوع أمره ، يأمرهم بالحرام فيتَّبِعوه ، وينهاهم عن الحلال فينتهوا عنه .

والعرض هنا ليس محلا للقبول أوالرَّفض ، بل حقيقته الأمر ، فإذا أمرهم وقع أمره في قلوبهم ، وإذا أشار لهم لهثوا الثرى تلبية لدعوته ، حيث ربَّاهم على طاعته وامتثال أوامره ، فما كان منهم إلا الإحسان جزاء الإحسان إليهم – كما يعتقدون – .

---

(1) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 5/5 – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1412هـ –2000م . وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 91/1 ، والدر المنثور 128/2 .

(2) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 91/1 ، والدر المنثور 404/1 .

(3) النساء من الآية 119 .

وهذه هي بعض أوامر الشيطان التي أصدرها صراحة لهذه الفئة الضَّالة كما صَوَّرها القرآن الكريم في بعض آياته ، حيث يقول سبحانه وتعالى على لسانه : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[1] ، فهذا النَّصِيب المفروض من بني الإنسان قد خَرَّ راكعًا أمام أوامر الشيطان فظنَّ أن تقطيع آذان الأنعام وتغيير خلق الله من باب الحقِّ ، ولكن الحَقَّ أن الحَقَّ منه براء .

فالأمر الأول﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ : يعني ليقطِّعنَّ آذان الأنعام ، وهي البحيرة للأوثان ، حيث كانوا يقطِّعون أطراف آذانها ويحرِّمونها[2] ،ف " هذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحلَّ الله ، أو تحليل ما حرَّم الله ، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو أكبر من الإضلال[3] " .

والأمر الثاني :﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ : يعني ليبدلَنَّ دين الله ، وقيل : فليغيرنَّ خلق الله من البهائم بإخصائهم إيَّاها ، أو فقء الأعين وقطع الآذان ، وذلك كله تعذيب للحيوان ، وتحريم وتحليل بالطغيان ، وقول بغير حجة ولا برهان ، والآذان في الأنعام جمال ومنفعة ، وكذلك غيرها من الأعضاء ، فلذلك رأى الشَّيطان أن يغيِّر خلق الله تعالى[4] .

" فهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم ، والوشر والنَّمْص والتفلج الحسن ، ونحو ذلك مما أغواهم به الشَّيطان فغيَّروا خلقة الرَّحمن ، وذلك يتضمن التَّسخُّط من خلقه والقدح في حكمته ، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرَّحمن ، وعدم الرِّضا بتقديره وتدبيره ، ويتناول أيضًا تغيير الخلقة الباطنة ، فإنَّ الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحقِّ وإيثاره ، فجاءتهم الشَّياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل ، وزيَّنت لهم الشَّرَّ والشِّرك والكفر والفسوق والعصيان[5] ... " .

---

(1) النساء من الآية 118 ، والآية 119 .

(2) ينظر : جامع البيان 215/9 ، وتفسير مقاتل بن سليمان 258/1 ، والجامع لأحكام القرآن 389/5 .

(3) تيسير الكريم الرَّحمن ص 203 .

(4) ينظر : جامع البيان 215/9، وتفسير مقاتل بن سليمان 258/1 ، والجامع لأحكام القرآن 389/5 .

(5) تيسير الكريم الرَّحمن ص 203 .

ومن هنا فقد ارتدى هذا الإنسان رداء الشَّيْطان ، وحذا حذوه ، ونهج نهجه ، وائتمر بأمره ، واتبع سبيله ، ومن كان كذلك فلن تجد له وليًّا مرشدًا .

فإذا كان بعض الناس يعتقد أن صغائر الذُّنُوب تفنى أمام كبيرها فهو اعتقاد خاطئ ؛ لأنَّ من حَبَّات الرِّمال تكون الجبال الشُّم الرَّواسي ، ومن يوشك قرع الباب يوشك أن يفتح له ، فمن تتبَّع خُطُوات الشَّيْطان يوشك أن يقع تحت سلطانه ، فيلبي نداءه ، ويستجيب لأوامره .

" والاقتداء بالشَّيْطان : إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر البشريَّة ؛ فإن الشَّيَاطين موجودات مدركة لها اتصال بالنفوس البشريَّة لعله كاتِّصال الجاذبية بالأفلاك والمغناطيس بالحديد ، فإذا حدث التَّوجه من أحدهما إلى الآخر بأسباب غير معلومة حدثت في النَّفس خواطر سيئة ، فإن أرسل المكلف نفسه لاتِّباعها ولم يردعها بما له من الإرادة والعزيمة حقَّقها في فعله ، وإن كبحها وصدَّها عن ذلك غلبها ، ولذلك أودع الله فينا العقل والإرادة والقدرة وكمل لنا ذلك بالهدى الديني عونًا وعصمة عن تلبيتها لئلا تضلنا الخواطر الشَّيْطانية حتى ترى حسنًا ما ليس بالحسن[1] " .

وبذلك يصبح هذا الإنسان أسيرًا لشيطانه ، قد تشرَّب جسده بحبِّ الهوى والشَّهوات ، فأصبحت عالمه بعد أن خرج من هذا العالم الذي فطره الله عليه ؛ وذلك بعد أن أَضَلَّه الله على علم وختم على قلبه ، فلم يعد له مخرج سوى طاعة أمره وتنفيذ رغباته حتى يبقى له وجود في هذا الوجود في اعتقاده .

والشَّيْطان في هذا السَّبيل يُشَرِّع لأوليائه ويضع دستورًا لهم ، حيث يعرض عليهم المعصية في صورة الطَّاعة ، وذلك من خلال بعض المناهج المكذوبة والخرافات الوهميَّة التي لا حقيقة لها إلا في قلوبهم المريضة ونفوسهم الأمارة بالسُّوء دائمًا .

فليعصم كُلُّ إنسان مِنَّا نفسه بعاصم من الله وخوف ورجاء حتى تثبت قوة إرادته بل قوة عقيدته : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] "

(1) التحرير والتنوير 2/103 .

(2) آل عمران من الآية 101 .

الصُّورة الرَّابعة : سبيل الفتنة (ف ت ن)

رسالة عامَّة من ربِّ العباد - ﷻ - إلى بني البشر جميعًا ، تخطُّ سطورها معالم الطريق المستقيم ، وآداب المنهج السَّويِّ الذي لا يحيد عنه إلا زائغ أوهالك ، تأتي ضمن تحذير عام من خداع الشَّيْطان ومكره الذي يحيق بأوليائه ، تحت باب سُبُل الشَّيْطان ، ومن خلال عنوان سبيل (الفتنة) ، وذلك في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

فجماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذَّهب : إذا أذبتهما بالنَّار لتميِّز الرديئ من الجَيِّد[2] .

يقول الجوهري : فتنت الذَّهب : إذا أدخلته النَّار لتنظر ما جودته[3] .

" وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شِدَّة ورخاء، وهما في الشِّدَة أظهر معنى وأكثر استعمالا . قال الله تعالى فيهما : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[4] ، وقال في الشِّدَّة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾[5] ... والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد ، كالبليَّة والمصيبة ، والقتل ، والعذاب ، وغير ذلك من الأفعال الكريهة . ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك[6] ... " .

فإذا كانت (الفتنة) ابتلاء واختبارًا فهي في حَقِّ الشَّيْطان مكر وخداع وضلال ، حيث ينسج لبني الإنسان بعض الأساطير والخرافات التي تحيد بهم عن منهج ربِّهم ، فينخدعون

(1) الأعراف الآية 27 .

(2) لسان العرب 3344/5 .

(3) الصحاح 2175/6 .

(4) الأنبياء من الآية 35 .

(5) البقرة من الآية 102 .

(6) المفردات ص 559 ، 560 .

بأوهامه ، ويستجيبون لمكره وخداعه ، وذلك كما حدث لأبيهم آدم – عليه السلام – وزوجه حواء .

فهذه الرِّسالة فيها " يقول تعالى ذكره : يا بني آدم ، لا يخدعنَّكم الشَّيْطان فيبدي سوءاتكم للنَّاس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربَّهما ، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخداعه ، من الجنَّة ، ونزعه عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوءاتهما بكشف عورتهما ، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة[1] " .

ومن هنا ، وعندما يلبِّي الإنسان نداء شيطانه ويرضى بمكره وخداعه فلا يأمن على نفسه من كشف عوراته – ظاهرة وباطنة – أمام نفسه وأمام الناس ، فتبدو عيوبه وتنكشف مساوئه ، وكأنها غدت قصَّة تروى للمسافر والمقيم ، يتغنَّى بها كل غاد وعائد ؛ وذلك لأنَّه أبى أن يستجيب لنداء ربِّه وتحذيره ، فكانت النَّتيجة أن أزال الله عنه ستره ، وفضحه على رءوس الخلائق في الدُّنيا والآخرة .

إذًا فالدَّلالة واضحة المعالم ، والنَّهي صريح لا شبهة فيه ، ف " فتون الشَّيْطان : حصول آثار وسوسته ، أي لا تمكِّنوا الشَّيْطان من أن يفتنكم ، والمعنى : النهي عن طاعته ، وهذا من مبالغة النَّهي ، ومنه قول العرب: لا أعرفنَّك تفعل كذا : أي لا تفعلنَّ فأعرف فعلك ، وقولهم : لا أرينَّك هنا : أي لا تحضرنَّ هنا فأراك ، فالمعنى : لا تطيعوا الشَّيطان في فتنته ، ومثل هذا كناية عن النَّهي عن فعل والنَّهي عن التعرُّض لأسبابه ، وشبه الفتون الصادر من الشَّيْطان للنَّاس بفتنة آدم وزوجه إذ أقدمهما على الأكل من الشجرة المنهي عنه ، فأخرجهما من نعيم كانا فيه ، تذكيرًا للبشريَّة بأعظم فتنة فتن الشَّيْطان بها نوعهم ، وشملت كل أحد من النَّوع ، إذ حرم من النَّعيم الذي كان يتحقَّق له لو بقي أبواه في الجنَّة وتناسلا فيها ، وفي ذلك أيضًا تذكير بأن عداوة البشر للشَّيْطان موروثة ، فيكون أبعث لهم على الحذر من كيده ... لأنَّ انكشاف السوءة من أعظم الفظائع والفضائح في متعارف النَّاس[2] " .

فهذه الصُّورة تتضمن تنبيهًا وتحذيرًا وتهديدًا من فتنة الشَّيْطان، حتى لا يُرد الإنسان على

---

(1) جامع البيان 373/12 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن 186/7 ، ومعالم التنزيل 223/3 ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي 222/3 – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(2) التحرير والتنوير 76/8 ، 77 .

عقبيه بعد إذ هداه الله للإيمان ، وعلَّمه قواعد الدين وحدوده ، فما مِنْ أحد يراه من أولي الألباب إلا ويعلم أنَّه عاص لمولاه - ﷻ - ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

الصُّورة الخامسة : سبيل الاستفزاز (ف ز ز)

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن صورة وأجمل هيئة، كريم الأخلاق ، عزيز النَّفس ، يأبى أن يذلَّ أو يهان ، رزقه الله من الطَّيبات ، وفضَّله على كثير من المخلوقات .

صوَّر ذلك المعنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2] ، ولكن مع كل هذه النِّعَم الرَّبَّانية إلا أنه قد رضي لنفسه الذُّلَّ والهوان ، والاستكانة والخضوع فسلَّم نفسه للشَّيْطان يوجِّهه كيف يشاء ، فلا تستقر سفينته ، ولا يسكن قلبه ، ولا تطمئن جوارحه ؛ وكأنَّه ريشة في مهبِّ الريح إلا من رحم ربِّي .

وصورة الشَّيْطان التي يترجم لها هذا السبيل تجتمع فيها كل ألوان القوَّة وأشكال الشِّدَّة ، حيث يخرج فيها كل ما في جعبته ، حرصًا على إزعاج مرقد الإنسان ، وعلى تغيير سمت حياته ، وذلك تحت عنوان سبيل (الاستفزاز) .

والاستفزاز في عرف أهل اللغة يساوي الإزعاج ، حيث قيل : " فَزَّه فَزًّا ، وأفَزَّه : أفزعه وأزعجه وطيَّر فؤاده .. واستفَزَّه من الشيء : أخرجه واستفَزَّه : خَتَله حتى ألقاه في مهلكة . واستفَزَّه الخوف : أي استخفَّه[3] " .

وهذه اللفظة بكل مشتقَّاتها لم تذكر في كتاب الله - ﷻ - إلا في ثلاثة مواضع ، وفي سورة واحدة ، والدلالة فيها جميعا تتجه نحو الإزعاج عن طريق الحيلة والمكر والخداع ، رغبة في الاستخفاف بالعقول ، وظنًا وأملا في أن يكون ذلك سبيلا لتحقيق الأهداف والغايات.

---

(1) النور من الآية 63 .

(2) الإسراء من الآية 70 .

(3) لسان العرب لابن منظور الإفريقي.تحقيق . علي عبد الله الكبير وآخرين 409/5 - دار المعارف . وينظر : الصحاح 890/3، والمفردات ص 570 .

وقد استخدمت في الآية الأولى كسبيل عام من سُبُل الشَّيْطان ، وفي الثانية كدليل مكر وخداع من اليهود ، ثم في الثالثة قسوة وجبروت من فرعون لبني إسرائيل .

وقد ظهر دليل مكر اليهود وخداعهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾[1] .

فيستفزُّونك " بمعنى ليفتنونك عن رأيك ، أو يزعجونك ويستخفُّونك ، وهم يهود المدينة وناحيتها كحيي بن أخطب وغيره ، وذلك أنَّهم ذهبوا إلى المكر برسول الله – ﷺ – فقالوا : إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء ، وإنما أرض الأنبياء الشَّام ، ولكنَّك تخاف الروم فإن كنت نبيًّا فاخرج إليها فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء فنزلت[2] " .

ثم يأتي مكر فرعون واستخفافه بقومه في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾[3] ؛ حيث " أراد فرعون أن يستخِفَّ موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها ، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ، فحاق به مكره بأن استفَزَّه الله بإغراقه مع قبطه[4] " .

وأما الاستفزاز كسبيل من سُبُل الشَّيْطان فقد أجمله الله– ﷻ –، ثم بيَّنه تفصيلا في هذه الآية الكريمة ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[5] .

فلفظة (الاستفزاز) في الآية تحمل جميع دلالات المكر والحيلة والدَّهاء ، من أجل الاستخفاف بعقول بني آدم جميعًا وإزعاجهم، وذلك على وجه استذل واستخف واستجهل

(1) الإسراء من الآية 76 .

(2) البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود وآخرين 62/6 – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان 1422هـ - 2001م . وينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري 685/2 – دار الكتاب العربي .

(3) الإسراء الآية 103 .

(4) الكشاف 2/ 698 .

(5) الإسراء الآية 63 .

بعقول من استطعت منهم .

ولكن ما هي طرق الاستفزاز ومداخله التي يستحوذ بها عليهم، ويتمكَّن من خلالها على قلوبهم ؟ .

أجابت الآية الكريمة على هذا السؤال وفصَّلته تفصيلا ، ثم بيَّن دلالته المفسِّرون بأقوالهم وتوجيهاتهم على نحو اتضحت معه الرؤية واكتملت من خلاله الصورة ، حتى لا يظن ظانٌّ أن الجهل قد استحوذ عليه أو تملَّكه ضباب فلم يبصر معه الحقيقة .

الطَّريق الأول : الصَّوت : وهو كل داع إلى معصية الله تعالى ، أو الغناء والمزامير واللهو ، أو الوسوسة .

الطَّريق الثَّاني : الخيل والرَّجْل : وهو كل راكب وماش في معصية الله ، أو إنَّ له خيلا ورجلا من الجِنِّ والإنس ، فما كان من راكب وماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس ورجالته ، أو كل خيل سارت في معصية الله ، وكل رجل مشى في معصية الله ، وكل مال أصيب من حرام ، وكل ولد بغية فهو للشَّيْطان .

الطَّريق الثَّالث : الأموال والأولاد : فالأموال إنفاقها في معصية الله ، أو هي التي أصابوها في غير حلِّها ، أو ما كانوا يحرِّمونه من البحيرة والسَّائبة والوصيلة والحام ، أو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ، والأولاد : أولاد الزِّنا ، أو ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيه من الجرائم ، أو تسميتهم عبد الحارث وعبد العزَّى وعبد اللات وعبد شمس ونحوه ، أو صبغة أولادهم في الكفر حتى هوَّدوهم ونصَّروهم ، كصنع النَّصارى بالغمس في الماء الذي لهم . وقول خامس روى عن مجاهد قال : إذا جامع الرجل امرأته ولم يسمِّ انطوى الجانُّ على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[1] .

الطَّريق الرَّابع : الوعد والأماني : أي مَنِّهم الأماني الكاذبة ، وأنَّه لا قيامة ولا حساب ، وأنَّه إذا كان حساب وجنَّة ونار فأنتم أولى بالجنَّة من غيركم . يقوِّيه قوله تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ

---

(1) الرَّحمن الآية 74 . والحديث منكر مقطوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمَّة . محمد بن ناصر الألباني 603/12 – دار المعارف – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى 1412هـ – 1992م . وينظر : نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للترمذي . تحقيق . عبد الرحمن عميرة 384/1 – دار الجيل – بيروت 1992م .

وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1] : أي باطلا ، وقيل : أي عدهم النَّصر على من أرادهم بسوء[2] ، " وهذا الأمر للشَّيْطان تهديد ووعيد له . وقيل استخفاف به وبمن اتَّبعه[3] " .

وفي آية أخرى يقسم الشَّيْطان على بني آدم وخاصَّة الطُّغاة منهم بقوله كما حدَّثنا القرآن الكريم: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ ﴾[4] أي: " ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ ﴾ بالباطل ولأخبرنَّهم ألا بعث ولا جنَّة ولا نار[5] " .

وفي آية أخرى يقول ربُّنا – ﷻ – ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾[6] : " فإنَّه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا ، ويخوِّفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾[7] ، ويخوِّفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير[8] " .

فهذا الباطل الذي استخفَّ به الشَّيْطان عقول بني آدم " هو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة ، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، وفي المعركة الصاخبة ، تستخدم فيها الأصوات والخيل والرَّجْل على طريق المعارك والمبارزات ، يرسل فيها الصَّوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة ، أو يستدرجهم للفخِّ المنصوب والمكيدة المدبَّرة ، فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل ، وأحاطت بهم الرِّجال ! ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾[9] وهذه الشركة تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية ... والتعبير يصوِّر

---

(1) النساء الآية 120 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 287/10 : 289 . وينظر : معاني القرآن للفراء . تحقيق . أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النَّجار 127/2– 1955م ، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجاج 250/30 ، وجامع البيان 490/7 ، 493.

(3) الجامع لأحكام القرآن 290/10 .

(4) النساء من الآية 119 .

(5) تفسير مقاتل بن سليمان 258/1. وينظر : تيسير الكريم الرَّحمن ص 203 .

(6) البقرة من الآية 268 .

(7) آل عمران من الآية 175 .

(8) تيسير الكريم الرحمن ص 203.

(9) الإسراء من الآية 64 .

في عمومه شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة ! وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها ، ومنها الوعود المغرية الخادعة : ﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1] ، كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص ، والوعد بالغني من الأسباب الحرام ، والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة ، ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة ؛ وهي الثَّغرة التي يدخل منها الشَّيْطان على كثير من القلوب التي يعزُّ عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة ، فيتلطَّف حينئذ إلى تلك النُّفوس المتحرِّجة ، ويُزِّين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرَّحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة ! اذهب مأذونًا في إغواء من يجنحون إليك . ولكن هنالك من لا سلطان لك عليهم ؛لأنهم مزودون بحصانة تمنعهم منك ومن خيلك ورجلك ! ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[2] ".

فهذه هي بعض طرق الشَّيطان ومكايده ، حيث ينتقل بالإنسان من سوء إلى أسوأ ، ومن باب من أبواب الاستخفاف بعقولهم إلى أبواب ، ومن لون واحد من ألوان الآثام والذُّنوب والمعاصي إلى عدَّة تشكيلات منها ، وكأنَّه يبدأ معهم بمرحلة تدريجية حتى يستعبد قلوبهم، فهو يغريهم أولا بصوته ، ثم يجمع لهم ما يشاء من خيله ورَجْله ، ثم يشاركهم في الأموال والأولاد ، وأخيرًا يعدهم ويمنِّيهم الباطل فيعرضه في صورة الحقِّ حتى ينتهي بهم إلى عالم لا أخلاق فيه ولا خلاق .

فهذا هو فرعون واستخفافه بقومه والهاوية التي قذفت به وبهم، وهذا هو استخفاف اليهود ومحاولة مكرهم بحبيب الحَقِّ محمد – ﷺ – ، ومصيرهم الذين آلوا إليه دنيا وأخرى ، فماذا عن خير أمَّة أخرجت للناس ؟ .

سؤال يجيب عنه كل من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان ، وكل من تعلَّق قلبه بالله وخضع لتعاليم الشَّرع الحنيف ، فأجب أيها المسلم قبل أن ينقطع الجواب وتنعدم الأسباب ،﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[3] .

---

(1) الإسراء من الآية 64 .

(2) الإسراء الآية 65 . في ظلال القرآن 4/2239 .

(3) الشعراء الآيتان 88 ، 89 .

الصُّورة السَّادسة : سبيل القعود (ق ع د)

ليست قضية الشَّيْطان في هذا السَّبيل إثارة الخَطَرات ، أو طمس المعالم وإثارة الشَّهوات ، أو تزييف الحقائق بالمكر والخداع في قلوب بني آدم ، بل قضيته هي التي أعلنها صراحة منذ بدء الخليقة دون تعريض أو تلميح ، أو كذب أو تزييف ، وهي الخصومة والعداوة إلى يوم الدِّين، فهو يسأل نفسه دائمًا كيف يحيا الإنسان في ظلال جَنَّة الدنيا إن رضى بمنهج رَبِّه ، وجَنَّة الآخرة إن كان لهذا المنهج واقع في حياته ، ويحيا هو في عالم الكذب والنِّفاق وسوء الأخلاق في الدُّنيا وما له في الآخرة من نصيب ؟ .

لذلك فهو في هذا السَّبيل يحرص على إضلال بني البشر غاية الحرص ، ويسعى بكل جدِّه واجتهاده إلى إدراك هذه الغاية ، ولن يدعهم مقسمًا على ذلك حتى يحوِّل بستان حياتهم إلى جحيم ، ونور صباحهم إلى صريم ، فتفنى جَنَّات ربِّهم التي أعدَّها لهم ولم يعد لها بقاء ، فيصير المآل في النهاية إلى خسران وضلال مبين .

والحرص على إدراك هذه الغاية جَسَّده سبيل (القعود) الذي ذكره ربُّنا – ﷻ – في قوله : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[1] .

فالقعود : نقيض القيام ، قعد يقعد قُعُودًا ومَقْعدًا : أي جلس[2]، وأما القعود على صراط الله المستقيم فهو سبيل من سُبُل الشَّيْطان فيه معنى الحزم والإصرار على غواية بني البشر ، وصرفهم عن منهج الله وطريقه السَّويِّ ، وفي قسمه دلالة على جدِّه واجتهاده وإلزامه أن يبرَّ بقسمه، فالأمر عنده ليس مجرد محاولة بل تأكيد وعزم ، لذلك قال﴿ لَأَقۡعُدَن ﴾ ، وهو يحمل دلالة "لألزمَنَّ الصِّراط,ولأسعى غاية جهدي على صدِّ النَّاس عنه وعدم سلوكهم إياه[3]".

" وصراطك المستقيم " تعني طريقك القويم ، وذلك دين الحَقِّ ، وهو الإسلام وشرائعه[4] .

إذًا فالشَّيْطان يدور مع الإنسان حيث دار ، يعرض له في كل مقصد من مقاصد الخير ،

(1) الأعراف الآية 16 .

(2) لسان العرب 5/ 3686 .

(3) تيسير الكريم الرَّحمن ص 248 .

(4) جامع البيان 334/12 . وينظر : المحرر الوجيز 22/7.

وفي كل درب من دروبه ، حتى يذر دين ربِّه ويرضى بدينه ، فهو يخاطب ربَّه بهذه الكلمات والعبارات التي ترجمها المفسِّرون بمعنى : " لأصدَنَّ بني آدم عن عبادتك وطاعتك ، ولأغوينَّهم كما أغويتني ، ولأضلنَّهم كما أضللتني[1] " ، ويحتمل قعود الشيطان "على طريقهم أو في طريقهم[2] " .

وفي التعبير القرآني تحدٍّ عجيب وعداء مستحكم ، بل قل : " هو الإصرار المطلق على الشَّرِّ ، والتَّصميم المطلق على الغواية ، وبذلك تتكشَّف هذه الطَّبيعة عن خصائصها الأولى ، شرٌّ ليس عارضًا ولا وقتيًّا ، إنما هو الشَّرُّ العامد القاصد العنيد ... إنَّه سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم ، يصدُّ عنه كل من يهمُّ منهم باجتيازه، والطريق إلى الله لا يمكن أن يكون حسًّا، فالله سبحانه جلَّ عن التحيُّز ، فهو إذن طريق الإيمان والطاعات المؤدِّي إلى رضي الله[3] " .

وإذا كان القرآن الكريم قد أجمل في الآية (قعود الشيطان) للإنسان على صراط الله المستقيم فإن حديث النبي – ﷺ – قد فصَّله وبيَّنه ، حيث " أخرج أحمد والنسائي وابن حبَّان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن سبرة بن الفاكه سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : إن الشَّيْطان قعد لابن آدم في طرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس في طِوَله فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : هو جهد النَّفْس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد ، قال رسول الله– ﷺ –: فمن فعل ذلك فمات أو وقصته دابته فمات كان حقًّا على الله أن يدخله الجَنَّة[4] " .

---

(1) جامع البيان 334/1 .

(2) معاني القرآن للفراء 375/1 . وينظر : المحرر الوجيز 21/7 .

(3) في ظلال القرآن 1266/2،1267 .

(4) الدر المنثور 426/3. وينظر : المعجم الكبير للطبراني . تحقيق . حمدي عبدالمجيد السلفي 117/7 – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – الطبعة الثانية 1404هـ - 1983م ، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة للهيثمي . تحقيق د. حسن أحمد صالح الباكري 150/1 (باب فيمن أسلم وهاجر) – مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – الطبعة الأولى 1413هـ - 1992م ، ومصنف بن أبي شيبة . تحقيق . محمد عوامة 293/5 – الدار السلفية الهندية القديمة .

فإذا كان الشَّيْطان يمتلك هذه القوَّة الوهميَّة ويستطيع من خلالها أن يصدَّ بني البشر عن ذكر ربِّهم ، ويقسم على ذلك فإنَّ الإنسان يمتلك القوَّة الحقيقيَّة التي جُسِّدت في الإيمان ، وحُمِيت بمحاسن الأخلاق ، فيستطيع غزو شهوات نفسه والقضاء عليها ، وإلزامها بصدِّ ضربات شيطانه حتى تهوى إلى عالم فسيح لا خصب فيه ولا نماء .

فكما أقسم الشَّيْطان بالقعود على صراط الله المستقيم وصدِّ بني الإنسان عنه فليقسم الإنسان بالسَّير على هدى ربِّه القويم ، ونور كتابه المبين ، وسبيل خير المرسلين حتى يكتب من الخالدين في جَنَّات النعيم.

فهذه هي حقيقة الشَّيْطان وحقيقة مكره وكيده ببني آدم ، وسُبُله التي يوجِّهها لهم جميعًا كما أظهر جوهرها وبَيَّن معالمها القرآن الكريم، فهل يتراءى الحق في قلوب من تبقَّى من أمَّة محمد – ﷺ – ، ويبزغ ضوء الصبح أمام أعينهم كما تراءى مع الصحابة – رضوان الله عنهم – وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، أم تحيط بهم سُبُل الجهالة كما أحاطت بكثير ممن كان قبلهم؟.

" فمتى اتصل القلب بالله واتجه إليه بالعبادة . متى ارتبط بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، متى أيقظ في روحه النَّفخة العلوية فأشرقت وأنارت ... فلا سلطان حينئذ للشَّيْطان على ذلك القلب الموصول بالله ، وهذا الرُّوح المشرق بنور الإيمان[1] " .

فليقعد الشيطان لبني الإنسان على كل طريق من طرق الخير ، وليغلق جميع النوافذ والأبواب التي تصل العبد بربِّه ، وليتشكَّل ويتلوَّن كيفما شاء ، فليست صورته في النهاية إلا صورة تمثال من ثلج يذوب ويتساقط خجلا وحياء أمام النَّفْس المؤمنة الراضية بقضاء ربِّها وقدره ، والواثقة من فضل الله وتفضُّله عليها وإحسانه إليها ، ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[2] .

(1) في ظلال القرآن 4/2239 .

(2) الأعراف من الآية 156 .

الرِّسَالة الثَّانية : لغة الشَّيطان مع أنبياء الله ورُسُلِه

من عالم المثاليات والقيم والأخلاق النَّبيلة إلى عالم بلا عنوان،ومن زهرات الجنان واللؤلؤ والمرجان إلى الدَّرك الأسفل من النيران هكذا يفعل الشَّيْطان بالإنسان ، حيث يذهب به كل مذهب ، فيأخذ عقله ويذهب ، فيصبح بلا إدراك ، يسكن معه ويؤانسه في حلِّه وترحاله ، في حركاته وسكناته ، ولكن ماذا يفعل الشيطان في عالم الأنبياء والمرسلين وقد عصمهم ربُّهم من مكره وكيده وحيله وخداعه ؟.

بالطبع لن تجده إلا خاسئًا محسورًا ، لا تسمع له كلمة ، ولا يُستجاب له نداء ، ولكن ليس معنى ذلك أن يلتزم الصمت ، أو أن يضع يده على خدِّه دلالة على أسفه ، ثم يسكب العبرات تعبيرًا عن ألمه وحزنه ، فهذه ليست عادته وليس هذا دأبه ، بل يحاول أن يقتحم هذا العالم بأوهامه الكاذبة وتخييلاته الباطلة وخطراته المبهمة الضعيفة لعله يظفر بشيء ما ، ولكنه يخرج في النهاية خالي الوفاض ، صفر اليدين ، مستسلمًا مقرًّا بأنَّ عالم التوحيد ليس له فيه سبيل .

وفي هذه الصَّفحات تصوير لتلك الحالات التي حاول الشَّيْطان من خلالها أن ينفذ إلى قلوب أنبياء الله ورسله :

الصُّورة الأولى : سبيل الزَّلل (ز ل ل)

عالم يضم بين جنباته كثيرًا من ألوان المتناقضات وأشكال المتعارضات ، يحيا في ظلال ناعمة يعكر صفوها صفحات قاتمة ، يسعد بزهو الحياة ، ولكنَّه يشقى بآلامها وأحزانها ، إنَّه عالم النَّفْس البشريَّة.

قد تستجيب عواطف الإنسان وتميل نفسه إلى قبول الأشياء في وقت ما وتسعد بها ، ولكن قد ترفضها في وقت آخر لكونها مصدر شقائها ، فهي تتقلَّب بين حال وأحوال ، ومذهب ومذاهب ، والشَّيْطان ليس في عجلة من أمره ، فهو يدرك حقيقة ذلك فلا يتعجل ، بل يُمنِّي نفسه ويحزم أمره ، حتى تأتي ساعة الصِّفر فيسحب البساط من تحت قدمي ابن آدم ، فيخرجه من عالم السعادة والنَّعيم إلى عالم الحزن والجحيم .

وقد تمكَّن الشَّيطان في بدء الخليقة من آدم وحواء ، فحام حول حماهما ، وعلى غرَّة دخل

مسكنهما وقلوبهما ، فزيَّن لهما بخَطَراته ووساوسه الدنيئة الأكل من الشجرة التي نهاهم الله – ﷻ – عن الأكل منها فأكلا ، فوقعا في زَلَّة الخطيئة كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[1] .

فالزَّلَّة في الأصل : استرسال الرِّجل من غير قصد ، يقال : زلَّت رِجْل تزلُّ . والزَّلة : المكان الزَّلق . وقيل للذَّنب من غير قصد : زَلَّة ، تشبيهًا بزَلَّة الرِّجْل[2] .

فالزَّلَّة : الخطأ ؛ لأنَّ المخطئ زلَّ عن نهج الصَّواب[3] .

تقول : زَللت يا فلان – بالفتح– تَزِلُّ زليلا : إذا زَلَّ في طين أو منطق، وزلَّ السَّهم عن الدِّرع ، والإنسان عن الصَّخرة يزِلُّ ويَزَلُّ زلا وزليلا ومَزَلَّة : زَلِق ، وأزلَّه عنها[4] .

وأما الزَّلَّة في الآية فهي تعني الدخول في الزَّلل عن طريق الوسوسة كما ذكر المفسِّرون، حيث قيل : "﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا...﴾ فوسوس لهما الشَّيْطان ، والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزَّلل بالمعصية ، وليس للشَّيْطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان ، إنما قدرته على إدخاله في الزَّلل فيكون ذلك سببًا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه . وقد قيل : إن معنى (أزلَّهما) : من زلَّ من المكان : إذا تنحَّى ، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال[5] ".

حيث " قرأ حمزة ﴿ فأزالهما ﴾ بألف[6]، من التَّنحية ، أي نحاهما ، يقال : أزلته فزال ، قال

---

(1) البقرة من الآية 36 .

(2) المفردات ص 313 .

(3) مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق . عبد السلام محمد هارون 4/3 – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م .

(4) لسان العرب 1853/5 .

(5) الجامع لأحكام القرآن 312/1 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 115/1، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي . حقَّقه د. شعبان محمد إسماعيل 338/1 – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م .

(6) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف ص 154 – دار المعارف – الطبعة الثالثة 1400هـ .

ابن كيسان : فأزالهما من الزوال ، أي صرفهما عما كان عليه من الطَّاعة إلى المعصية ... وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى ، إلا أنَّ قراءة الجماعة أمكن في المعنى ، يقال منه : أزللته فزلَّ ، ودلَّ على هذا قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ ... ﴾"[1].

إذًا " فحجة من قرأ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أنَّه جعل من الزَّلل في الدِّين، ومن ذلك قولهم : " زَلَّة العالِم " ، ومن قرأ ﴿ فأزالهما ﴾ أي : أزالهما عن مكانهما من الجَنَّة ، ومعنى قوله ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي : زلاهما بقبولهما من الشَّيْطان ، كما تقول : تعلَّم زيد من عمرو كلمة أهلكته ، وإنما معناه : هلك هو بقبولها منه[2] " .

وعلى كل فإن الاستجابة لدواعي الشَّيْطان قد حدثت ، وأنَّه قد نجح في آداء مهمته ؛ لأنَّ " معناه أُزِلا بإغواء الشَّيْطان إيَّاهما ، فصار كأنَّه أزلَّهما ، كما تقول للذي يعمل ما يكون وصلة إلى أن يزلَّك من حالة جميلة إلى غيرها : أنت أزللتني عن هذا ، أي قبولي منك أزلَّني ، فصرت أنت المُزَلل لي[3] " .

وبآداء الشَّيْطان رسالته على أكمل وجه خرج آدم وحواء من الجَنَّة بأمر ربِّهما ، وبخروجهما زالت كل سُبُل الرَّاحة والسَّعادة الدَّائمة وبدأت رحلة الشَّقاء والعناء ، بل قل رحلة الصراع بين الشَّيطان وبني الإنسان ، حيث تعرَّف الشيطان على عنوان الطَّريق إلى قلوبهم ، ومفتاح الخروج بهم من عالم الحَقِّ إلى عالم الضَّلال , ومن ثنايا الصُّبح إلى دياجير الظَّلام ، فأصبح الإنسان في حصار وصراع بين قبول الحقِّ ورفضه إلى يوم الدِّين ، فحَقَّ عليه قول ربِّنا – ﷻ – : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾[4] .

الصُّورة الثَّانية : سبيل العمل (ع م ل)

عن طريق بعض الخواطر والوساوس التي يلقيها الشيطان في روع بني الإنسان فيثير من خلالها مشاعره وأحاسيسه وكأنَّه يداعبه من بعيد تكون بداية الرِّحلة ، ثم ما يلبث أن ينتقل به

(1) آل عمران من الآية 155 . الجامع لأحكام القرآن 1/311.

(2) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه . حقَّقه د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين 1/81 ، 82 – مكتبة الخانجي بالقاهرة – مطبعة المدني – الطبعة الأولى 1413هـ - 1992م .

(3) معاني القرآن وإعرابه 1/115 .

(4) البلد الآية 4 .

إلى مرحلة أخرى أشد ضراوة وخبثًا ، فيشعل القلب فيها نارًا ، والفكر إغلاقًا فتنشأ حالة الغضب التي هي رمز كل بلاء ، وعنوان كل داء .

ومن هنا تتحوَّل هذه الصورة النظريَّة الخفيَّة التي يقرأها العقل إلى واقع عملي يترجمه القلب ، وذلك في إطار لفظة (العمل) عند نسبتها للشَّيْطان باعتباره أهم رموز الضَّلال والفساد ، والصدِّ عن هدى النبي – ﷺ – والكتاب ، والسَّبيل إلى النِّقمة والعذاب ، فليكن الإنسان دائما وأبدًا إلى ربِّه أوَّاب ، مستغفرًا شاكرًا لأنعمه يخاف يوم الحساب حتى لا يقع في أخطار هذا السَّبيل .

والعمل بوجه عام قد يستعمل في الصَّلاح والفساد ؛ وذلك لأن " العمل يستعمل في الأعمال الصَّالحة والسيئة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[2] ، وقال : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾[4] ، وأشباه ذلك من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾[5] ... " .

ولكن كيف يمكن قراءة هذه السُّطور الخاصَّة بعمل الشَّيطان عندما يكون الحوار مع نبي الله موسى – عليه السلام – ؟ .

لنقرأ أولا تلك الآية الكريمة التي صوَّرت هذا الحوار وجعلت منه قصَّة متكاملة الأركان يقول فيها ربُّنا – عز وجل – : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[6] .

---

(1) الكهف من الآية 107 ، ومريم من الآية 96 .

(2) النساء من الآية 124 .

(3) النساء من الآية 123 .

(4) التحريم من الآية 11 .

(5) هود من الآية 46 . المفردات 519 , 520 .

(6) القصص الآية 15 .

فعمل الشَّيْطان في الآية - كما هو واضح – نوع من أنواع الوسوسة ، يوحي بوحي الجدِّ والاجتهاد ، والتواصل في بثِّ الخَطَرات ووضع العقبات ، وتهييج المشاعر والأحاسيس حتى تنشأ حالة من الغضب ، فهذه هي مهنته التي لا يحسن غيرها ، ولا تظهر قدراته إلا من خلالها، وقد اعترف نبيُّ الله موسى - عليه السلام - بأثر ذلك في نفسه ثم تحويله إلى أرض الواقع ، حيث " قال موسى حين قتل القتيل ، هذا القتل من تَسَبُّب الشَّيْطان لي بأن هَيَّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي (إنَّه عدو) يقول : إن الشَّيْطان عدو لابن آدم (مُضِلٌّ) له عن سبيل الرَّشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال وتحسين ذلك له (مبينٌ) يعني أنَّه يُبَيِّن عداوته لهم قديمًا، وإضلاله إياهم[1] " .

وعلى هذا " فإنَّ الشيطان قد أوقد غضبه حتى بالغ في شِدَّة الوكز: وإنما قال موسى ذلك لأن قتل النَّفْس مستقبح في الشرائع البشريَّة ، فإن حفظ النَّفس المعصومة من أصول الأديان كلها ، وكان موسى يعلم دين آبائه لعله بها تلقَّاه من أمه المرأة الصَّالحة في مدة رضاعته وفي مدَّة زيارته إيَّاها ، وجملة (إنَّه عدو مضلٌّ مبينٌ) تعليل لكون شدَّة غضبه من عمل الشيطان ، إذ لولا الخاطر الشَّيْطاني لاقتصر على زجر القبطي أو كفِّه عن الذي من شيعته ، فلما كان الشَّيْطان عدوًّا للإنسان وكانت له مسالك إلى النُّفوس استدلَّ موسى بفعله المؤدِّي إلى قتل نفس أنَّه فعل ناشئ عن وسوسة الشَّيْطان ، ولولاها لكان عمله جاريًا على الأحوال المأذونة . وفي هذا دليل على أن الأصل في النَّفْس الإنسانية هو الخير ، وأنَّه الفطرة وأنَّ الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشَّيْطان في النَّفْس[2] " .

ولكن كيف استطاع الشَّيْطان أن يصل إلى قلب نبيِّ الله موسى - عليه السلام - وهو محصَّن بتحصين الله له ؟ .

يمكن أن يفسَّر عمل الشَّيْطان في الآية من خلال عدَّة " وجوه : **أحدها** : لعلَّ الله تعالى وإن أباح قتل الكافر إلا أنَّه قال الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر ، فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب، فقوله : هذا من عمل الشيطان معناه : إقدامي على ترك المندوب من عمل

(1) جامع البيان 541/19 .

(2) التحرير والتنوير 90/2 .

الشَّيْطان،**وثانيها** : أن قوله (هذا) إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه ، فقوله : هذا من عمل الشيطان ، أي عمل هذا المقتول من عمل الشَّيْطان ، المراد منه بيان كونه مخالفًا لله تعالى مستحقًّا للقتل، **وثالثها** : أن يكون قوله : (هذا) إشارة إلى المقتول ، يعني أنه من جند الشَّيْطان وحزبه ، يقال : فلان من عمل الشَّيْطان أي من أحزابه[1] " .

وعلى هذا فإن الشَّيْطان لم يتمكَّن من امتلاك قلب موسى- عليه السلام- ولم يكن له عليه من سلطان كما أشارت هذه التوجيهات والدَّلالات ، وعيون الأحداث شاهدة على ذلك ومقرَّة به ، وهادية إليه ، فدَلالة الحقِّ الإقرار والاعتراف به ، إضافة إلى أن " قوله : (قال هذا من عمل الشَّيْطان) يدل أن قتله إياه كان خطأ وأنه لم يكن أُمِرَ موسى بقتل ولا قتال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾[2] ".

الصُّورة الثَّالثة : سبيل الإلقاء (ل ق ى)

أصحاب الرِّسَالات السَّماوية دائمًا وأبدًا يحدِّثون أنفسهم بهداية قومهم إلى دين الله وإلى طريقه المستقيم ، أمنية يتمنَّاها كل صاحب رسالة ، ولكن هل يحبُّ الشَّيْطان النُّور أن يسطع في قلوب بني البشر وبينه وبين الحَقِّ عداوة لا يمكن أن تزول إلا بزوال هذه الحياة ؟.

هذا ما يجيب عنه هذا السَّبيل الذي يحمل هذا العنوان.

فمن سُبُل الشَّيْطان وتضليله ومكره إثارة الشُّبهات التي تهدف إلى تزييف الحقائق وإظهارها بغير صورتها حتى تبدو لقلوب أوليائه كأنَّها حقيقة ساطعة في سماء الحَقِّ وهي منها براء .

وقد تمنَّى النبيُّ محمد – صلى الله عليه وسلم – هداية قومه وحرص على ذلك أشدَّ الحرص ، ولكن أنَّى يتحقَّق له ذلك والشَّيْطان لأمَّته بالمرصاد ؟ .

وقد حاول الشَّيْطان في هذا السَّبيل غلق جميع الأبواب التي تؤدِّي إلى تحقيق أمنية النبي محمد –صلى الله عليه وسلم – فلا تجد مدخلا إلى قلوب قومه ، أو ألقى الشَّيْطان في قراءته ، فأدخل فيها ما ليس منها حتى يسعد بها مَنْ في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، احتمالان في تفسير

---

(1) مفاتيح الغيب 24 / 201 .

(2) القصص من الآية 16. معاني القرآن وإعرابه 4/137 .

(الإلقاء) في قول ربِّنا – ﷻ – : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ . لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾[1] .

فهذه الآية هي عنوان قصَّة الغرانيق ، والتي خاض فيها كثير من هؤلاء الذين لا يعرف الحقُّ إلى قلوبهم سبيلا , ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2] .

حيث قيل إن " السَّبب في نزول هذه الآية أن رسول الله –ﷺ – لما أعرض عنه قومه وشاقُّوه ، وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به : تمنَّى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفِّرهم ، لعلَّه يتخذ ذلك طريقًا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيِّهم وعنادهم ، فاستمرَّ به ما تمنَّاه حتى نزلت عليه سورة (والنَّجْم) وهو في نادي قومه ، وذلك التَّمنِّي في نفسه ، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله : ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾[3]: (ألقى الشَّيْطان في أمنيته) التي تمنَّاها ، أي : وسوس إليه بما شيعها به ، فسبق لسانه على سبيل السَّهو والغلط إلى أن قال : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجي ، وروى الغرانقة ، ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبَّه عليه ،وقيل : نبَّهه جبريل – ﵇ – ، أو تكلَّم الشَّيْطان بذلك فأسمعه النَّاس ، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع مَنْ في النادي وطابت نفوسهم ، وكان تمكُّن الشَّيْطان من ذلك محنة من الله وابتلاء ، زاد المنافقون به شكًّا وظلمة ، والمؤمنون نورًا وإيقانًا ، والمعنى : أن الرُّسل والأنبياء مِنْ قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنَّوا مثل ما تمنَّيت ، مكَّن الله الشَّيْطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك ، إرادة امتحان مَن حولهم ، والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ، ليضاعف ثواب التائبين ويزيد في عقاب المذنبين.وقيل (تمنَّى) : قرأ ، وأنشد :

---

(1) الحج الآيتان 52 ، 53 .
(2) يوسف من الآية 21 .
(3) النجم الآية 20 .

تمنَّى كتاب الله أول ليلة ... تمنِّى داود الزبور على رِسْلِ[1].

وأمنيته : قراءته ، وقيل : تلك الغرانيق : إشارة إلي الملائكة ، أي : هم الشفعاء في الأصنام (فينسخ الله ما يلقي الشَّيْطان) أي يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها[2] " .

إذًا فسبيل(الإلقاء) هو تجسيد لصورة الشَّيْطان في هذه القصَّة ، " والإلقاء : طرح الشئ حيث تلقاه : أي تراه ، ثم صار في التعارف اسمًا لكل طرح[3] " .

فالشَّيْطان قد طرح كلمته في هذا السَّبيل وانتظر حتي تقَرَّ عينه بقلوب أوليائه من المشركين والمنافقين ، وقد تحقَّقت أمنيته معهما، ولكن خاب وخسر مع المؤمنين من عباد الله الصالحين ، فما زادهم هذا الأمر إلا إيمانًا بالله ورسوله – ﷺ – , وذكر القرطبي أن " الذي يظهر ويترجَّح في تأويله علي تسليمه أن النبي – ﷺ – كان كما أمره ربُّه يرتِّل القرآن ترتيلا ، ويفصِّل الآي تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثِّقات عنه ، فيمكن ترصُّد الشَّيْطان لتلك السكتات ودسُّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكيًا نغمة النبي– ﷺ – بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنُّوها من قول النبي– ﷺ – فأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السُّور قبل ذلك علي ما أنزلها الله ، وتحقُّقهم من حال النبي – ﷺ– في ذمِّ الأوثان وعيبها ما عرف منه ، فيكون ما روي من حزن النبي – ﷺ – لهذه الإشاعة والشُّبهة وسبب هذه الفتنة[4]... " .

إذًا فما كان فهو من إلقاء الشَّيْطان ، ولكن ربَّ العباد عصم منه نبيه – ﷺ – ؛ لأن الأنبياء معصومون بعصمة الله لهم ، حيث " إن الشَّيْطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهَّموا أنَّه صدر عن رسول الله – ﷺ – , وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنَّما كان من صنع الشَّيْطان لا

(1) هو قول حسان بن ثابت في عثمان بن عفان – رضي الله عنهما – . ينظر : البحر المحيط 353/6 ، وتفسير السراج المنير للشربيني 443/2 – دار الكتب العلمية – بيروت , وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي 173/17 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – .

(2) الكشاف 164/3،165. ويتظر : معاني القرآن وإعرابه 434/3 , وجامع البيان 663/18 , وتفسير القرآن العظيم 305/3 , والدُّر المنثور 65/6 , 66 , وتيسير الكريم الرَّحمن ص 542 .

(3) المفردات ص 685 . وينظر : الصحاح 2484/6 , ولسان العرب 4066/5.

(4) الجامع لأحكام القران 82/12،83.

من رسول الرَّحمن– ﷺ – والله أعلم[1]" .

فـ " الله قد عصم الرُّسُل بما يبلِّغون عن الله ، وحفظ وحيه أن يشتبه ، أو يختلط بغيره ، ولكن هذا الإلقاء من الشَّيْطان ، غير مستقرٍّ ولا مستمرٍّ ، وإنَّما هو عارض يعرض ، ثم يزول ، وللعوارض أحكام ، ولهذا قال : (فينسخ الله ما يلقى الشَّيْطان):أي يزيله ويذهبه ويبطله ، أو يبيِّن أنَّه ليس من آياته ، و (يحكم الله آياته) أي : يتقنها ، ويحرِّرها، ويحفظها ، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشَّيْطان(والله عزيز) أي : كامل القوة والاقتدار ، فبكمال قدرته ، يحفظ وحيه ، ويزيل ما تلقيه الشَّيَاطين (حكيم) يضع الأشياء مواضعها ، فمن كمال حكمته ، مكَّن الشَّيَاطين من الإلقاء المذكور ، ليحصل ما ذكره بقوله : (ليجعل ما يلقي الشَّيَاطين فتنة) لطائفتين من الناس ، لا يبالي الله بهم ، وهم الذين (في قلوبهم مرض) ... أي : ضعف وعدم إيمان وتصديق جازم ، فيؤثِّر في قلوبهم أدني شبهة تطرأ عليها ، فإذا سمعوا ما ألقاه الشَّيْطان ، داخلهم الرَّيب والشَّك فصار فتنة له (والقاسية قلوبهم) أي : الغليظة ، التي لا يؤثِّر فيها زجر ولا تذكير ، ولا تفهُّم عن الله وعن رسوله لقسوتها،فإذا سمعوا ما ألقاه الشَّيطان ، جعلوه حجَّة لهم علي باطلهم، وجادلوا به وشاقُّوا الله ورسوله[2]... ".

إذًا فقد اتضحت الرُّؤية وزالت الشُّبهة ، وانقطعت حُجَّة من يظنُّ خلافها ، فـ " الله الذي يحفظ دعوته من تكذيب المكذِّبين ، وتعطيل المعوِّقين ، ومعاجزة المعاجزين يحفظها كذلك من كيد الشَّيْطان ، ومن محاولته أن ينفذ إليها من خلال أمنيَّات الرُّسُل النابعة من طبيعتهم البشريَّة ، وهم معصومون من الشَّيْطان ولكنهم بشر تمتدُّ نفوسهم إلى أماني تتعلق بسرعة نشر دعوتهم وانتصارها ، وإزالة العقبات من طريقها . فيحاول الشَّيطان أن ينفذ من خلال أمانيهم هذه فيحوِّل الدَّعوة عن أصولها وعن موازينها ، فيبطل الله كيد الشَّيْطان ، ويصون دعوته، ويبيِّن للرُّسل أصولها وموازينها ، فيحكم الله آياته ، ويزيل كل شبهة في قيم الدَّعوة ووسائلها[3] ".

---

(1) تفسير القرآن العظيم 3/307 .
(2) تيسير الكريم الرَّحمن ص542 .
(3) في ظلال القرآن 4/2431 .

هذا , وقد وردت روايات كثيرة فيما ألقاه الشَّيطان في أمنيَّة النبي – ﷺ – وقراءته , منها : " إنهنَّ لفي الغرانيق العُلا ، وإن شفاعتهن لترتجي " , وفي بعضها : " تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجي " , وفي بعضها : " إن تلك الغرانيق العلا ، منها الشفاعة ترتجي " , وفي بعضها : " وإنهن لهُنَّ الغرانيق العلا ، وإنهنَّ لهنَّ التي ترتجي " , وفي بعضها : " تلك الغرانيق العلا ، وشفاعتهن تُرتضي ، ومثلهن لا ينسى " , وفي بعضها : " إنَّ شفاعتهن لترتجي ، وإنَّها لمع الغرانيق العلا " , وفي بعضها : " تلك إذن في الغرانيق العلا ، تلك إذن شفاعة ترتجي " ، والقصَّة – كما يزعمون – واحدة ، فما هذا الاختلاف ؟ وهل بمثله تثبت الأخبار أم تُنْقَض[1]؟! " .

فهذه القصَّة إذًا قد وردت بروايات كثيرة " ولكنَّها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم[2]" .

فهذا الحديث المسمَّي " بحديث الغرانيق : هو من ناحية السَّند واهي الأصل ، قال علماء الحديث: إنه لم يخرِّجه أحد من أهل الصِّحَّة ، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة ، وقال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي – ﷺ – بإسناد متصل يجوز ذكره ، وهو من ناحية موضوعه يصادم أصلا من أصول العقيدة ، وهو عصمة النبي – ﷺ – من أن يدس عليه الشَّيْطان شيئًا في تبليغ رسالته[3] " .

وقد ذكر الشَّيخ الألباني أنه : " قد روى البخاري في صحيحه أن النبي – ﷺ – قرأ سورة (النَّجْم) وسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجِنُّ ، وليس فيه حديث الغرانيق ، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق[4]" .

وذكر الدكتور محمد أبو شبهة بأنَّه " إذا كانت القصَّة غير ثابتة من جهة النَّقل , وهي مخالفة للقرآن المتواتر ، ومناقضة لما ثبت بالعقل ، مع تعذر التأويل ، فلا حرام أنَّ التحقيق يدعوني إلى أن أصدع بأنَّ حديث الغرانيق مكذوب مختلق ، وضعه الزنادقة ، الذين يحاولون

---

(1) دلائل التحقيق لأبطال قصة الغرانيق (رواية ودراية) .علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ص 233 ، 234 – مكتبة الصحابة– جدة – ومكتبة التابعين – القاهرة 1412هـ – 1992م .

(2) تفسير القرآن العظيم 305/3 .

(3) في ظلال القرآن 2432/4 .

(4) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للألباني ص 46– المكتبة الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة 1417هـ – 1996م .

إفساد الدِّين والطعن في خاتم الأنبياء[1]".

وخلاصة الأمر " أنَّ هذه القصة باطلة منكرة ، تناقض أصول الإسلام، وقواعد الدين ، وصريح الآيات ، وصحيح المروِيَّات ، وليس لها إسناد صحيح ، ومتونها مضطربة متناقضة ، وألفاظها ينادي بعضها على بعض بالنُّكران فمثلها مردود مردود ، والحمد لله الغفور الودود[2]".

ولكن ما تطمئن إليه النَّفْس هو ما ذكره الدكتور محمد أبو شهبة من أنَّ هذا (الإلقاء) قد يوجَّه إلى أحد اتجاهين بإيجاز :

الاتِّجاه الأول : الأباطيل والشُّبه

وفي هذه الحالة تكون نسبة الإلقاء إلى الشَّيْطان حينئذ ؛ لأنذَه مثير للشُّبهات بوساوسه ، ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلا حدَّث قومه عن ربِّه ، أو تلا وحيًا أنزل الله فيه هداية لهم ، فأقام في وجهه مشاغبون يتقوَّلون عليه ما لم يقله ، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ، وينشرون ذلك بين النَّاس ...

الاتِّجاه الثَّاني : العثرات والعقبات

وذلك على اعتبار أن التمنِّي : المراد به تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النَّفْس بما كان ويكون، والأمنية من هذا المعنى: وما أرسل الله من رسول ولا نبيٍّ ليدعو قومه إلى هدى جديد ، أو شرع سابق إلا وغاية مقصوده ، وجلُّ أمانيه أن يؤمن قومه ، وكان نبيُّنا من ذلك في المقام الأعلى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[3] ، ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[4] , ويكون المعنى : وما أرسلنا من رسول ولا نبيٍّ ، إلا إذا تمنَّى هذه الأمنية السَّامية ، ألقى الشَّيْطان في سبيله العثرات وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور النَّاس ،

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د.محمد بن محمد أبو شهبة ص 405 – مكتبة السنة – الطبعة الرابعة .

(2) دلائل التحقيق لأبطال قصة الغرانيق ص 236 .

(3) الكهف الآية 6 .

(4) يوسف الآية 103 .

فثاروا في وجهه , وجادلوه بالسِّلاح حينًا وبالقول حينًا آخر[1].

إذًا فهذه أبواب من أبواب الخداع والتَّضليل يثيرها هؤلاء المنافقون الذين يحاولون هدم صرح الرِّسالة المحمديَّة وتقويض بنيانها ، يساعدهم على ذلك ما يمليه الشَّيْطان عليهم من وساوس ودسائس وشبهات ، ولكن الله – عَجَلَّ – دائمًا وأبدًا يؤيِّد رسله بجنده ، وبحلاوة اللسان ومنطق الكلام الذي يدحض به شبهة هؤلاء ويرد كيدهم مذءومًا مدحورًا ، فيثبت الحق في وجوه أعدائه ، ويزول الباطل بكل آثاره ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2].

وبعد , فلتتوقَّف الألسنة عن الخوض في هذه المسائل بعد أن تبيَّن وجه الحقيقة فيها , ولتكف الأقلام عن سمومها التي تخطُّها هنا وهناك ، فلقد سطع برهان الحق ، وزال آثار الشَّكِّ ، واطمأنَّت القلوب وهدأت ، وأبطل الله كيد الكائدين ومكر الماكرين ، ورَدَّ سهامهم إلى نحورهم ، فهنيئًا للمؤمن بإيمانه ، وسحقًا لصاحب بدعة أو ضلالة , ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[3] .

الصُّورة الرَّابعة : سبيل النَّزغ (ن ز غ)

تحتاج الحياة التي نحياها في عالم البشريَّة دائمًا إلى رفيق ، وكلما زاد عدد الرفقاء – وخاصَّة إذا كانوا صالحين – كلما تحصَّن الإنسان بها يشدُّ أزره ويقوي عضده فلا تقوى عليه الهموم والأحزان ، وإنما تأتيه الدُّنيا راكعة ، فيحيا حياة الفرسان ، سليم الصدر قوى البنيان ، ولكن إذا تمكَّن منه رُفقاء السُّوء ضعفت نفسه وضاعت هيبته، وركع أمام شهواته ونزواته فأصبح ميِّتًا وهو يعيش بين الأحياء .

ولذلك عندما تبدأ فكرة التعارف بين بني البشر فغالبًا ما تكون مصحوبة بنوع من الحرص والحذر ، ومزيد من التروِّي والتأنِّي حتى يزول أثر كل منهما ، وتتلاشى كل مقوِّماته مع الزَّمن ، فتشتدُّ الرَّوابط وتتمكَّن الألفة والمحبة بينهم ؛ وذلك لأنَّ قبلة الحياة تتحدَّد

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 406 .

(2) الإسراء الآية 81 .

(3) التوبة من الآية 124 ، والآية 125 .

معالمها وتتغيَّر اتجاهاتها من خلال صحبة هؤلاء الرُّفقاء ، الذين إمَّا أن تزدان بهم الحياة ، وإما أن تلفظهم مِنْ عليها ، وهكذا تكون لغة الحوار والتعارف بين الشَّيْطان وبني البشر .

فمسابقة العَدْو لمسافات طويلة تدعو المتسابق أن ينظِّم أنفاسه ويرشِّد طاقته حتى يصل إلى هدفه وغايته ، وكذلك يبدأ الشَّيْطان بالنَّزْغ الذي هو أول درجة من درجات الوسوسة كنوع من أنواع التآلف والتَّراحم بينه وبينهم.

فنزغ الشَّيطان يمثِّل هذه البداية ، حيث يقول الزَّجاج عنه : أدنى حركة تكون , تقول : قد نزغْته : إذا حرَّكته[1]، ومن الشيطان أدنى وسوسة[2] .

ف " النَّزْغ : أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم ، ونزغ بينهم ينزَغُ وينزِغُ نَزْغًا : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض ، والنَّزْغ : الكلام الذي يغري بين الناس ، ونَزَغَه : حرَّكه أدني حركة ، ونزغ الشيطان بينهم ينزَغُ وينزِغُ نزغًا : أي أفسد وأغرى[3]" .

ولم ترد لفظة (النَّزْغ) في القرآن الكريم إلا منسوبة للشَّيْطان ، وذلك من خلال أربع آيات , الأولى منها على لسان نبيِّ الله يوسف – عليه السلام – ، وذلك عندما حدَّث بنعمة الله عليه بعد أن جمع الله بينه وبين إخوته وتلاشت بينهما كل خَطَرات الشَّيْطان ، ثم في ثلاث آيات أخرى لتحذير نبيِّه محمد – ﷺ – وأمته من اتِّباع هذا السَّبيل وغلق جميع الأبواب التي تؤدِّي إليه .

فالآية الأولى يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4] .

فهذه الآية تصوِّر تلك الوساوس التي ألقاها الشَّيْطان في قلوب إخوة يوسف للكيد والمكر به , فاستجابوا له ، وأبعدوه عن أبيه ؛ وذلك بما صوَّره الشَّيْطان لهم من حُبِّ أبيهم له

(1) معاني القرآن وإعرابه 396/2 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 347/7 , 348 . وينظر : معالم التنزيل 317/3 .

(3) لسان العرب 4397/6 .

(4) يوسف الآية 100 .

وتفضيله عليهم ، فأوقع الحسد في قلوبهم ، فأفسد علاقة المحبَّة التي كانت تجمع بينهما .

ولذلك قيل : " ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ ﴾ بإيقاع الحسد ؛ قاله ابن عباس، وقيل: أفسد ما بيني وبين إخوتي ،أحال ذنبهم على الشَّيْطان تكرمًا منه[1] " .

فالحسد صورة من صور الفساد تلوَّن بها الشَّيْطان حتى لا يدع لتآلف البشرية بابًا ، ولا لمحبة قلوبهم دليلا ، فيظل الصِّراع بينهم قائمًا حتى تلفظ الحياة أنفاسها الأخيرة .

وأما الآيات الثَّلاث الأخرى فهي لغة الحوار بين ربِّ العباد - ﷻ - وخاتم أنبياءه ورُسُله ، وكذلك أمَّته من بعده حرصًا على الهداية ، وحذرًا من طرق أبواب الضَّلال.

فالآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] .

والآية الثانية : قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3] .

والآية الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾[4] .

فالنَّزْغ في الآيات الثلاث سبيل من سُبُل الوسوسة يلجأ إليه الشَّيطان ليحمل الإنسان على الغضب ؛ وذلك لأنه يعلم أن الغضب عنوان كل إثم ، وحصاد كل منكر ، فيحذِّر الله نبيَّه - ﷺ - وأمَّته من الاستجابة لهذا الإفساد ، ثم الإعراض عنه ، وذلك على توجيه الدلالة في الآية الأولى والثانية : " وإما يغضبنَّك من الشَّيْطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم [5]" .

أو إمَّا : " يصيبنَّك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحلُّ[6]" .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 267/9 . وينظر : مجاز القرآن 319/1 ، ومعالم التنزيل 281/4 .

(2) الأعراف الآية 200 .

(3) فصلت الآية 36 .

(4) الإسراء الآية 53 .

(5) جامع البيان 332/13 .

(6) الجامع لأحكام القرآن 347/7 . وينظر : مجاز القرآن 236/12 ، ومعالم التنزيل 317/3 ، وتيسير الكريم الرَّحمن ص313 .

وعلى ذلك فإن " نزغ الشَّيْطان : وساوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي ، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه ؛ وقال الزَّجاج : معناه إن نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن الاحتمال ، فاستعذ بالله من شرِّه وامض على حكمك[1] ".

فليحذر بنو الإنسان من أمَّة محمد – ﷺ – من رحلة البداية مع نزغ الشَّيْطان ؛ لأن البداية هي مدخل كل سوء إن لم يدركوا خطرها .

" واحتج الطاعنون في عصمة الأنبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبي معصومًا لم يكن للشَّيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الاستعاذة . والجواب عنه من وجوه ، الأول : أن معنى الكلام إن حصل في قلبك نزغ من الشَّيْطان فاستعذ بالله وإن لم يحصل له ذلك البتة فهو كقولك لئن أشركت وهو بريء من الشِّرك البتة . والوجه الثَّاني : على تقدير أنَّه لو حصل وسوسة من الشَّيْطان لكن الله – ﷻ – عصم نبيَّه –ﷺ – عن قبولها وثبوتها في قلبه ... الوجه الثَّالث : يحتمل أن يكون الخطاب للنبي – ﷺ – والمراد به غيره ومعناه : وإما ينزغَنَّك أيُّها الإنسان من الشَّيْطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ "[2] .

ثم يأتي توجيه الدلالة في الآية الثالثة : " وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة ... وقوله : (إن الشَّيْطان ينزغ بينهم) يقول: إن الشَّيْطان يسوء محاورة بعضهم بعضًا ينزغ بينهم ، يقول : يفسد بينهم ، ويهيج بينهم الشَّرَّ[3] " .

فالشَّيْطان في هذا السَّبيل يريد إفساد حياة أنبياء الله ورسله عن طريق أولى خَطَراته وأدني درجاته لعل سلته تمتلأ بما يريح ظمأ قلبه وهواجر حياته ، ولكن عين الله ترعاهم وتحميهم ، وتحفظهم من كل إثم، فتسعد بهم الحياة الدنيا والآخرة ، ويسعد بهم كل من نهج نهجهم واقتفى آثارهم ، فالنَّجاة كل النَّجاة في اتِّباع سبيلهم ، والخزي كل الخزي في اتباع ألدِّ

(1) لسان العرب 6/ 4397 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 396/2 .

(2) النحل من الآية 98 . لباب التأويل في معالم التنزيل (تفسير الخازن)329/2– دار الفكر – بيروت – لبنان 1399 هـ – 1979 م .

(3) جامع البيان 469/17 . وينظر: مجاز القرآن 383/1 .

أعدائهم ، وهو مَنْ تفقد به الحياة كل مقوِّماتها الجميلة وسُبُل سعادتها ، ألا وهو الشَّيْطان : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1] .

الصُّورة الخامسة : سبيل النِّسيان (ن س ي)

هل مِنْ البشرجميعًا من طابت نفسه وسكن قلبه وقرَّت عينه فاستقرَّعلى بحر هدأت أمواجه ، فاستخرج منه لؤلؤه ومرجانه ، فحيا حياة الملوك العظام ، فأزهرت حياته ، وأورقت ثمار السَّعادة والوفاق ، وأينعت حتى كادت أن تحتضن السماء ؟! .

قد يكون ذلك في عالم الخيال والأحلام ، ولكن في عالم الحقيقة والواقع فلا تخلو الحياة من الأحزان والأشجان ، والشَّقاء والحرمان ، فكان من فضل الله – ﷻ – بهم أن كتب عليهم النِّسيان رحمة ورأفة بهم في كثير من الأحيان ، حتى تستقرَّ حياتهم وتهدأ نفوسهم ، ولكن عندما يهمُّ الإنسان بأمر خير ورشاد فيصرف عنه وينساه يصبح بذلك النِّسيان سبيلا من سُبُل الشَّيْطان .

فالنِّسيان – بكسر النون – : ضِدُّ الذِّكر والحفظ [2] .

أو هو : " ترك الإنسان ضبط ما استودع ، إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلته ، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره . يقال : نسيته نسيانًا ... وكل نسيان من الإنسان ذمَّه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمُّد . وما عذر فيه نحو ما روى عن النبي – ﷺ – : رفع عن أمتي الخطأ والنِّسيان ، فهو ما لم يكن سببه[3] " .

وأما عن (النِّسيان) ونسبته للشَّيطان فلم يرد في القرآن الكريم إلا في ثلاث آيات ، والخطاب فيها جميعًا لأنبياء الله ورسله ، تبدأ بخير البشرية محمد – ﷺ –، ثم يوسف ويوشع بن نون – عليهما السلام – .

---

(1) فاطر الآية 6 .

(2) لسان العرب 4416/6 .

(3) المفردات ص 748 . ورد الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بعبارة : (قال رسول الله – ﷺ – إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه) . سنن البيهقي الكبرى . تحقيق . محمد عبد القادر عطا 356/7 – دار الباز – مكة المكرمة 1414هـ – 1994م .

فالآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة رسالة من ربِّ العباد – ﷻ – إلى نبيِّه محمد –ﷺ – ، فحواها أنَّ كلمة الإيمان والكفر لا يمكن أن تجتمع على أمر سواء ، فكلاهما ينتمي إلى عالمه الخاصِّ به ، فـ " إذا رأيت يامحمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها عليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك ، وخوضهم فيها ، كأن استهزاءهم بها ، وسَبَّهم مَنْ أنزلها، وتكلَّم بها ، وتكذيبهم بها ، فأعرض عنهم ، يقول : فصدَّ عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم ، حتى يخوضوا في حديث غيره ، ... حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم ، وإما ينسينَّك الشَّيْطان بقوله : وإن أنساك الشَّيْطان نهينا عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ، ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظَّالمين الذين خاضوا في غير الذين لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه . وذلك هو معنى" ظلمهم" في هذا الموضع[2] " .

ولكن ليس معنى إنساء الشَّيْطان في هذه الآية سيطرته وسلطانه ولكنه عارض من عوارض البشر ، وقد عصم الله نبيَّه محمدًا– ﷺ – من هذا النِّسيان الذي يخالف شرع الله ومنهجه في تبليغ رسالته فقال سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [3] ، وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله – ﷺ – : (ما منكم من أحد إلاوقد وكل به قرينه من الجِنِّ وقرينه من الملائكة ، قالوا وإيَّاك يارسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلابخير) [4] .

وأما الآية الثَّانية : يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

---

(1) الأنعام الآية 68 .

(2) جامع البيان 436/11 .

(3) الأعلى الآية 6 .

(4) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي . تحقيق د. علي حسين البواب 137/1 – دار ابن حزم – بيروت – لبنان 1423هـ - 2002 م .

ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾[1] .

فهذه الآية تصوِّر حال نبيِّ الله يوسف – عليه السلام – عندما قال : "﴿ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ﴾ من القتل إضمار ، وهو السَّاقي ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني سيِّدك ، فإنه يَسرُّني أن يخرجني من السِّجن ، يقول الله ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ يعني يوسف دعاء ربِّه ، فلم يدع يوسف ربَّه الذي في السَّماء ليخرجه من السِّجْن ، واستغاث بعبد مثله ، يعني الملك ، فأقرَّه الله في السِّجْن عقوبة حين رجا أن يخرجه غير الله – عز وجل – ، فذلك قوله : ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ يعني خمس سنين ، فكان في السِّجْن اثنتي عشرة سنة ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[2] " .

فهذا هو تفسير (النِّسيان) في حق يوسف – عليه السلام – , حيث " أنسى الشَّيْطان السَّاقي ذكر يوسف للملك ، تقديره : فأنساه الشَّيْطان ذكر ربِّه ، قال ابن عباس : وعليه الأكثرون : أنسى الشَّيْطان يوسف ذكر ربِّه حين ابتغى الفرج من غيره واستغاث بمخلوق ، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشَّيْطان[3] " .

إذًا فخلاصة النِّسْيان هنا أنَّه : " أنسى الشَّيْطان يوسف أن يجعل ذكره ومستغاثه إلى الله . ويقال : أنسى الشَّيْطان السَّاقي أن يذكر أمر يوسف[4] " .

ويقوِّي هذا ما يأتي من قوله : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾[5].

وأما الآية الثَّالثة : قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴾[6] .

---

(1) يوسف الآية 42 .
(2) يوسف الآية 35 . تفسير مقاتل بن سليمان 150/2 .
(3) معالم التنزيل 244/4 . وينظر : جامع البيان 109/16، 111 ، وتفسير ابن أبي حاتم 2149/7 ، والجامع لأحكام القرآن 195/9 .
(4) معاني القرآن للفراء 46/2 .
(5) يوسف الآية 45 . هامش معاني القرآن وإعرابه 112/3 .
(6) الكهف الآية 63 .

وتوجيه النِّسيان في هذه الآية كما قال المفسِّرون : "﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ أي تركته وفقدته ، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد . وقيل في الآية إضمار معناه : نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ أي : وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشَّيْطان[1] " .

فهذه هي حقيقة النِّسيان من الشَّيْطان مع أنبياء الله ورسله كما وجَّهته سياق الآيات وأدلة المفسِّرين ، فلا حقيقة إذًا لخَطَراتهم في عالمهم الملائكي المحفوظ بحفظ الله له ، والمعصوم بعصمته له , فلا مجال لتضييع حقٍّ من حقوق ربِّهم ورسالته التي أوحى بها إليهم ، بل لحكمة أرادها الله بهم وبأمَّتهم , فجائز أن يقع النِّسيان منهم ولكن دون أن يكون للشَّيْطان عليهم سلطان بخَطَراته أو همَزاته ، والدَّليل على ذلك كثير من الآيات في حقِّ أنبياء الله ورسله وهي :

1 – في حقِّ آدم – عليه السلام – ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[2] .

2 – في حقِّ موسى ويوشع – عليهما السلام – ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[3].

3 – في حقِّ موسى – عليه السلام – ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾[4] .

4 – في حقِّ خاتم الأنبياء والمرسلين– ﷺ –،قال تعالى:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[5].

فالنِّسيان أمر كتبه الله –عز وجل– على البشريَّة جميعًا ، حيث قال: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[6] .

---

(1) معالم التنزيل 187/5 . وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 295/2 .

(2) طه الآية 115 .

(3) الكهف من الآية 61 .

(4) الكهف من الآية 73 .

(5)الكهف من الآية 24.

(6) البقرة من الآية 286 .

فمَنْ ذا الذي يسلم من النِّسيان , وبه سُمِّي الإنسان إنسانًا , فسبحان صاحب الكمال والقدرة المنزَّه عنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[1] ، و﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾[2] .

الصُّورة السَّادسة : سبيل الهَمَزات (هـ م ز)

تعرَّض النبيُّ محمد – ﷺ – وأصحابه لقسوة المشركين وآذاهم منذ جهر بدعوة التَّوحيد ، وأعلن للبشريَّة جميعًا أنه رسول ربِّ العالمين ، حيث تعالت أصوات حاقديه وحاسديه رغبة في هدم دعوته واستئصال شوكته ، والقضاء على رسالته ولكن رحمته ورأفته بأمَّته حالت بينه وبين الدُّعاء عليهم بالغرق أو الخسف أو الهلاك والدَّمار ، أو الصيحة أو الصَّاعقة أو غير ذلك كما كان حال مكذِّبي الأنبياء قبل بعثته , أو أن يدفع بالسَّيئة السَّيئة وإنَّما بالتي هي أحسن ، فصبر وصابر واحتسب كما أمره ربُّه سبحانه وتعالى ، فتلك رسالة أولى ، أعقبتها رسالة ثانية بالتعوِّذ من هَمَزات الشَّيَاطين حتى يظلَّ قلبه دائمًا وأبدًا موصولا بربِّ العالمين ، أمن الخائفين ، وهداية الضالِّين الحائرين ، حافظ الأنبياء والمرسلين ، يقول الله تعالى ذكره : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ، وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[3].

" والهمز مثل اللمز وهمَزَه : دفعه وضربه ، وهمزته ولمزته ولهزته ونهرته : إذا دفعته ... وهمز الشَّيْطان الإنسان همزًا : همزه في قلبه وَسْواسًا، وهمزات الشَّياطين : خَطَراته التي يُخْطِرُها بقلب الإنسان[4] " .

وقد فُسِّرت هَمَزات الشَّيَاطين في الآية بمعنى : نزغاتهم ، أو وساوسهم ، أو نفثهم ونفخهم ، وقال أهل المعاني : دفعهم بالإغواء إلى المعاصي ، وأصل الهمز : شدَّة الدَّفع[5] .

وعلى ذلك ف " الهمز من الشَّيْطان : عبارة عن حثِّه على العصيان والإغراء به كما يهمز الرَّائض الدَّابة لتسرع[6] " .

---

(1) مريم من الآية 64 .

(2) طه من الآية 52 .

(3) المؤمنون الآيتان : 96 ، 97 .

(4) لسان العرب 4698/6 ،4699 . وينظر : الصحاح 902/3 .

(5) معالم التنزيل 428/5 .

(6) البحر المحيط 583/7 .

فالهَمَزات خَطَرات يخطر بها الشَّيْطان على عقول بني الإنسان ، يحاول من خلالها تحريضهم على عصيان ربِّهم ومخالفة أوامره ، واتِّباع نهج غير نهجه حتى يحقِّق مأربه ، ويسمع صدى مفعَّلا لصوته ، وهي بذلك قريبة من نَزَغَاته , حيث فُسِّرت بذلك في الآية ، فقيل في قوله تعالى : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ :" أي نَزَغَات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى ... أمر الله تعالى نبيَّه – ﷺ – والمؤمنين بالتعوُّذ من الشَّيْطان في هَمَزَاته ، وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه ، وكأنَّها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المحادَّة ، فلذلك اتَّصلت بهذه الآية . فالنَّزَغَات من سورات الغضب الواردة من الشَّيْطان هي المتعوذ منها في هذه الآية[1] " .

" أو أن يكون أمره بالتعوُّذ من هَمَزَات الشَّيَاطين مرادًا به الاستمرار على السَّلامة منهم[2] " .

فالنبيُّ – ﷺ – معصوم من هذه الهَمَزَات وغيرها ، حيث قال القاضي عياض : " واعلم أن الأمَّة مجمعة على عصمة النبي – ﷺ – من الشَّيْطان في جسمه وخاطره ولسانه[3] " .

" ويجوز أن تكون جملة ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ عطفًا على جملة ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾[4] بأن أمره الله بأن يلجأ إليه بطلب الوقاية من المشركين وأذاهم ، فيكون المراد من الشَّيَاطين المشركين فإنهم شياطين الإنس كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[5] ، ويكون هذا في معنى قوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[6] فيكون المراد : أعوذ بك من هَمَزَات القوم الظَّالمين ، أو من هَمَزَات الشَّيَاطين منهم[7] " .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 148/12 . وينظر : البحر المحيط 583/7 .

(2) التحرير والتنوير 121/18 .

(3) تفسير الخازن 329/2 .

(4) المؤمنون الآية 93 .

(5) الأنعام من الآية 112 .

(6) الناس من الآية 6:1.

(7) التحرير والتنوير 121/18.

فالشَّيْطان عندما يتعامل مع بني البشر بوجه عام له سُبُله التي ينفذ من خلالها إلى عقولهم ، ويستولي بها على قلوبهم ، ولكن رُسُل الله – صلوات الله عليهم – فليس للشَّيْطان عليهم من سبيل ، ولكنَّ أمر الله – ﷻ – لنبيِّه – ﷺ – بالتعوِّذ من همَزَاتهم فذلك من قبيل الطَّبيعة البشريَّة التي لا ينقص ذلك من قدرها , ولا يقلِّل من قيمتها ، فهم المعصومون بعصمة الله – ﷻ – لهم ، والمحفوظون بحفظه لهم﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] .

الصُّورة السَّابعة : سبيل الوسوسة (وس و س)

ما أكثر ما تجود به قريحة الشَّيْطان ، وما ينطق به لسان حاله، يخطف الأبصار ، ويأخذ بالقلوب والألباب ، ويصنع جبالا رواسي من الأوهام , يرتدي كل لحظة ثيابًا ، ولا يغفل ليلا أو نهارًا ، يسكن قصور السعادة بشقاء بني آدم ، لم يخل بيت من صوره وأشكاله ، حتى إذا جاء إلى بيوت الأنبياء تسلَّلها خلسة وقصدها على استحياء ، فعالمهم محاط بسياج العِزَّة والكرامة والعناية والرِّعاية والعصمة والهداية , ولكن لحكمة أرادها خالق الأرض والسَّماوات من عمارة الأرض وإقامة شرعه فيها يزيِّن الشيطان لآدم – عليه السلام – ويُجَمِّل له المعصية ، فيستجيب وزوجه لها ، ولكن ما هي إلا لحظات حتى تتلاشى كل أوهامه ، ويذهب مكره وخداعه ، ويزول تأثيره بإعلان التَّوبة والولاء لله سبحانه وتعالى.

وقد جَسَّدت آيتان من كتاب الله – ﷻ – حديث الشَّيْطان الخفي وخَطَرَاته الدنيئة مع آدم – عليه السلام – وزوجه ، الأولى منهما قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾[2] ، والثَّانية قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[3] .

فالوسوسة في هذا السَّبيل هي البداية التي كتب لها أن تستمر إلى النِّهاية ، تحمل تكرار الحروف لتكرار الدَّلالة ، فمنذ أن ظهرت وبدت ملامحها لم تنقطع ، ولن تزول آثارها حتى ينتهي صراع هذه الحياة ، وتسكن جميع النفوس إلى بارئها سبحانه وتعالى .

---

(1) يوسف من الآية 64 .

(2) الأعراف الآية 20 .

(3) طه الآية 120 .

وقد ذكر أهل اللغة أن " الوسوسة : حديث النَّفْس . يقال : وَسْوَسَتْ إليه نفسه وَسْوَسةً ووِسْوَاسًا بكسر الواو[1]" .

وقيل : " الوسوسة : الخطرة الرديئة . وأصله من الوسواس : وهو صوت الحَلْي ، والهمس الخفي[2] " .

ويقال : " وَسْوَس إليه الشَّيْطان : حَدَّثه بما لا خير فيه ، ووسوس الرَّجل للرَّجل أو للمرأة : تكلَّم بكلام خفي ليغري بعمل غير صالح ، ووسوست له نفسه بأمر : حَدَّثته به وأغرته بعمله ... والوَسْوَاس : الشَّيْطان دائمًا يوسوس بالشَّرِّ ، وهو مصدر سُمِّي به الشَّيْطان من الجِنَّة أو من النَّاس[3] ... " .

ووسوسة الشيطان لآدم – عليه السلام – هي من باب " أنهي إليه الوسوسة كقوله حدَّث إليه وأسرَّ إليه[4] " .

و" قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ : يريد إليهما ، ولكن العرب تُوصِل بهذه الحروف كلها الفعل[5] " .

ويقال عن طبيعة هذه الوسوسة بأنَّ " هذا القول خاطر ألقاه الشَّيْطان في نفس آدم بطريق الوسوسة ، وهي الكلام الخفي ، إما بألفاظ نطق بها الشَّيْطان سرًّا لآدم لئلا يطلع عليه الملائكة فيحذِّروا آدم من كيد الشَّيْطان . ويكون إطلاق القول عليه حقيقة ، وإما بمجرد توجُّه أراده الشيطان كما يوسوس للنَّاس في الدُّنيا ، فيكون إطلاق القول عليهم مجازًا باعتبار المشابهة[6]".

وقد استطاع الشَّيْطان أن يخترق جدار قلب آدم – عليه السلام – وزوجه , وذلك عندما زيَّن

---

(1) الصحاح 988/3 . وينظر : لسان العرب 4830/6 ، 4831 .

(2) المفردات ص 819 .وينظر : الصحاح 988/3 ، ولسان العرب 4830/6 .

(3) القاموس القويم للقرآن الكريم . إبراهيم عبد الفتاح 338/2 – 1404هـ – 1983م . وينظر : لسان العرب 4831/6 .

(4) مفاتيح الغيب 109/22.

(5) الصحاح 988/3 . وينظر : لسان العرب 4831/6 .

(6) التحرير والتنوير 325/16 .

وصَوَّر لهما الخلود والملك بمخالفة أمر الله – ﷻ – الذي نهاهما عن الأكل من الشَّجرة , وهو ما بيَّنته الآيات في كتاب الله – ﷻ – , فـ" تلك الوسوسة كانت بتطميعه في أمرين : أحدهما : قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد) ، أضاف الشَّجرة إلى الخلد وهي الخلود ؛ لأنَّ من أكل منها صار مخلدًا بزعمه ، الثَّاني : قوله : (وملك لا يبلي) ، أي من أكل من هذه الشجرة دام ملكه[1] " .

وقد " نسى آدم وزوجه تحت تأثير الشَّهوة الدَّافعة والقسم المخدر أنَّه عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير ! وأن الله أمرهما أمرًا عليهما طاعته سواءً عرفا علته أم لم يعرفاها ! وأنَّه
لا يكون شيء إلا بقدر من الله ، فإذا كان لم يقدِّر لهما الخلود والملك الذي لا يبلى فلن ينالاه ! نسيا هذا كله ، واندفعا يستجيبان للإغراء (فدلاهما بغرور) ... لقد تمَّت الخدعة وآتت ثمرتها المُرَّة ، لقد أنزلهما الشَّيْطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته ، فأنزلهما إلى مرتبة دُنيا[2] " .

وكانت هذه هي أول خُطْوة من خُطُوات الشَّيْطان وأحاديثه الدنيئة التي أثمرت وأينعت في عالم الجِنَان ، ولكن بعد أن أهبط آدم وحواء من عالم السَّماء إلى عالم الأرض بدأت رحلة الصِّرَاع بينه وبين البشريَّة جميعًا ، فتعدَّدت بعد ذلك سُبُله، وتنوَّعت أشكاله وألوانه ، فمن بني البشر ﴿ مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[3].

وبعد ، فهذه هي سُبُل الشَّيْطان السَّبعة إلى أنبياء الله ورسله ، والتي حاول من خلالها اختراق هذه النُّفوس المؤمنة الطَّاهرة ولكن هيهات أن تثمر النبتة في أرض غير أرضها ، وسماء غير سمائها ، فالشَّمس والقمر لا يجتمعان ، وكذلك الليل والنهار ، فتلك سُنَّة الله في خلقه : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[4] .

---

(1) مفاتيح الغيب 12/ 107 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 2/326 .
(2) في ظلال القرآن 3/1269 .
(3) النحل من الآية 36 .
(4) الأحزاب من الآية 62 .

وقد حفظ الله أنبياءه ورُسُله وعصمهم من كيد هؤلاء الشَّيَاطين ونفثهم وهمزهم ، وأعانهم علي مواجهة أعدائهم من إنس وشياطين ، ورفع شانهم ، وأعلي كلمتهم ، وثبَّت أقدامهم : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

(1) المجادلة الآية 21 .

الرِّسَالة الثَّالثة : لغة الشَّيْطان مع الصَّالحين

في هذه الرَّسَالة تنتقل دعوة الشَّيْطان من عالمية البشريَّة إلى عالم خاصٍّ بعباد الله الصَّالحين ، ومن مسلك الهجوم على بني آدم جميعًا – شقيِّهم وسعيدهم – إلى الحصون المنيعة التي احتمت بقلاع الإيمان ، وتمسَّكت بهدى الرَّحمن سبحانه وتعالى ، وذلك بعد أن تحطَّمت آماله ، وفشلت كل محاولاته في عالم أنبياء الله ورُسُله.

فعباد الله الصالحون هم زينة هذه الأرض وحسن بهائها ونور جمالها ، ولولا هؤلاء لخسف الله الأرض بمَنْ عليها ، حيث ينتقل هؤلاء من روضة طاعة إلى أخرى ، ومن عالم المثل العليا إلى عالم الحَقِّ والفضيلة ، وكأنَّها كواكب دريَّة تضييء للبشريَّة طريق الهداية ، تسعد بهم الحياة ويسعدون بها ، فخلافة الأرض وعمارتها لا تنهض إلا بهم ، ويوم القيامة يفرحون بلقاء ربهم ، ولكن هل يدع الشَّيْطان لهذا البنيان العظيم أن يستقرَّ أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟! .

سؤال يجيب عنه واقع الحياة ، والذي يشهد بعداوة الشَّيطان لبني آدم وخاصَّة الصَّالحين منهم ، حيث ينطلق الصَّالحون في أرض الله بما وهبهم الله من قلوب جليَّة، وعقول زكيَّة ، وفطرة سويَّة ، ومنحهم طرق الهداية ، وسُبُل الرُّشد والرِّعاية ، يعبدونه لا يشركون به شيئًا ، ويعمِّرون حياتهم بالتقوى والذِّكر والإخلاص ، فيبدأ الشَّيْطان في تثبيط عزائمهم ، وغلق أبواب الرَّحمة في وجوههم ، فيظل الصراع قائمًا بينهم إلى أن تطوي الحياة صفحتها الأخيرة برحيل الجميع عن عالمها والاستقرار في عالم البقاء والخلود.

وقد حدَّثَنا القرآن الكريم عن بعض السُّبُل التي سلكها الشَّيْطان مع عباد الله الصالحين ، ظهر عنوانها ، وتبيَّنت ملامحها ، وتجسَّدت آثارها في الصُّور الآتية :

الصُّورة الأولى : سبيل الخُطُوات

وجَّه الشَّيْطان خُطُواته لكافَّة بني البشر في الرِّسَالة الأولى ، ثم أتبعها هنا بخُطُواته التي بثَّها لعباد الله الصَّالحين منهم ، وذلك محاولة منه للدُّخول إلى عالمهم والاقتراب منهم ، وإيهامهم خلاف الحَقِّ حتى يحقِّق مقصده ، ويظفر ببغيته ، ولكن أنَّى له أن يحقِّق الأمانيَّ في عالم قد حفَّته الملائكة ، وحفظه الله بحفظ من عنده ؟! .

وقد حدَّثَنا القرآن الكريم عن هذا السَّبيل في ثلاث آيات :

الآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[1] .

فهذه الآية فيها توجيه صريح من ربِّ العباد – ﷻ – إلى المؤمنين من عباده بعدم اتباع خُطُوات الشَّيْطان بكل آثاره وطرقه كليَّة دون تفصيل لها ، وذلك بقوله أولا ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ , وثانيًا :﴿ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ .

وقيل إن السَّبب في نزول هذه الآية : " أن عبد الله بن سلام ، وسلام بن قيس ، وأسد وأسيد ابنا كعب، ويامين بن يامين ، وهم مؤمنو أهل التَّوراة ، استأذنوا النبي – ﷺ – في قراءة التَّوراة في الصَّلاة , وفي أمر السَّبت , وأن يعملوا ببعض ما في التَّوراة ، فقال الله– ﷻ – : خذوا سُنَّة محمد – ﷺ – وشرائعه , فإن قرآن محمد ينسخ كل كتاب كان قبله ، فقال : ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ ، يعني في شرائع الإسلام كلها ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ ، يعنى تزيين الشَّيْطان ، فإن السُّنَّة الأولى بعدما بعث محمد – ﷺ – ضلالة من خُطُوات الشيطان﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ يعنى بَيِّن[2] ".

فالشَّيْطان يبدع في تزيين السُّوء وتجميل المنكر في هذا السَّبيل, فيبتدع أشياء ما أنزل الله بها من سلطان حتى يصرف الصَّالحين من عباد الله عن منهج الحَقِّ وطريق الهدى والرَّشاد , فكل ما هو خلاف شرع الله ومنهجه فهو من خُطُوات الشَّيْطان وآثاره ، لذلك يأتي التوجيه صراحة من ربِّ العباد – ﷻ – : " اعملوا أيها المؤمنون بشرائع الإسلام كلها ، وادخلوا في التَّصديق به قولا وعملا ودعوا طريق الشَّيْطان وآثاره أن تتَّبعوها فإنَّه لكم عدو مبين لكم عداوته ، وطريق الشَّيْطان الذي نهاهم أن يتَّبعوه هو مخالف حكم الإسلام وشرائعه ، ومنه تسبيت السَّبْت وسائر سنن أهل الملل التي تخالف ملَّة الإسلام[3] " .

ومن هنا فالدَّلالة:"لا تقتفوا آثاره؛لأنَّ ترككم شيئًا من شرائع الإسلام اتباع للشَّيْطان[4] " .

---

(1) البقرة الآية 208 .

(2) تفسير مقاتل بن سليمان 109/1 .

(3) جامع البيان 258/4 .

(4) معاني القرآن وإعرابه 280/1 .

وأما الآية الثَّانية يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[1] .

فهذه الآية قد حَدَّدَت وخَصَّصَت خُطُوات الشَّيْطان حتى يحذر المؤمنون من عباد الله ما يلبِّسه الشَّيْطان على أوليائه من تحريم ما أحلَّ الله لهم ، فذكرت الآية أن "﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ ﴾ يعني الإبل والبقر، ﴿ وَفَرۡشٗا ﴾ والفرش: الغنم الصِّغار مما لا يحمل عليها ، ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ من الأنعام والحرث ﴿ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ : يعني تزيين الشَّيْطان فتحرِّمُونه[2] " .

فمداخل الشَّيْطان متعدِّدة وآثاره مختلفة ومتنوِّعة فاحذروا هذا الجانب الذي تسلَّل به إلى قلوبكم ، والذي من خلاله حَرَّم ما أحلَّ الله لكم، فهذا بيان صريح من ربِّكم يقول فيه : "﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أيُّها المؤمنون ، فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروثكم ، ولحوم أنعامكم ، إذ حرَّم بعد ذلك على أنفسهم المشركون بالله ، فجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا وللشَّيطان مثله ، فقالوا ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ , ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، كما اتَّبعها باحِرُوا البحيرة ، ومسيِّبوا السَّائبة ، فتحرِّموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حَرَّموه ، فتطيعوا بذلك الشَّيْطان ، وتعصوا به الرَّحمن ، كما ... قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، لا تتَّبعوا طاعته ، هي ذنوب لكم ، وهي طاعة للخبيث إن الشَّيْطان لكم عدو ، يبغي هلاككم وصدَّكم عن سبيل ربِّكم (مبين) قد أبان لكم عداوته بمناصبة أباكم بالعداوة ، حتى أخرجه من الجنَّة بكيده ، وخدعه حسدًا منه له وبغيًا عليه ... ثم قال لهم : كُلُوا مما رزقكم الله من هذه الثِّمار واللحوم ، واركبوا هذه الحمولة ، أيُّها المؤمنون ، فلا تتَّبعوا خُطُوات الشَّيْطان في تحريم ما حَرَّم هؤلاء الجهلة بغير أمري إيَّاهم بذلك ، قل , يا محمد ، لهؤلاء الذين حرَّموا ما حرَّموا من الحرث والأنعام اتباعًا للشَّيطان , من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حَرَّم عليهم ما هم مُحَرِّمون من ذلك , آلذكرين حرَّم ربَّكم , أيها الكذبة على الله , من الضأن

(1) الأنعام الآية 142 .

(2) تفسير مقاتل بن سليمان 1/474 .

والمعز ؟ فإنَّهم إن ادَّعوا ذلك وأقرُّوا به ، كذبوا على أنفسهم وأبانوا جهلهم ...لأنَّهم كانوا يقرُّون بإقرارهم بذلك أنَّ الله حرَّم عليهم ذكور الضَّأن والمعز وإناثها, أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها , وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها[1] " .

فتحريم ما أحلَّ الله مدخل من مداخل الشِّرك ، لذلك أتى " النهي عن شؤون الشِّرك ، فإنَّ أول خُطُوات الشَّيْطان في هذا الغرض هي تسويله لهم تحريم بعض ما رزقهم الله على أنفسهم[2] " .

وأما الآية الثَّالثة فيقول فيها ربُّنا – ﷻ -:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[3] .

فالصَّالحون من عباد الله – ﷻ – قد أغلقوا جميع منافذ الشَّيْطان وأبوابه ، ولكنه لا ييأس من إعلان الحرب عليهم ، وصَدِّهم عن هدى ربِّهم ، حتى يفتح لهم في هذا الجانب بابًا آخر من أبوابه ، وسبيلا آخر من سُبُله ، فيدق جرس الخطر تنبيهًا لهم ، وذلك بتوجيه ربِّهم : " ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ : يعني تزيين الشَّيْطان في قذف عائشة– رضي الله عنها- , ﴿ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ يعني بالمعاصي ﴿ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ يعنى : ما لا يعرف[4] ... " .

فهذا " تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة مفعولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خُطُوات حتى ينهوا عن اتِّباعها ، وفيه تشبيه وسوسة الشَّيْطان في نفوس الذين جاءوا بالإفك بالمشي[5] " .

فالشَّيْطان في هذا الباب قد تعدَّى حدوده , وأسرف في مكره وخداعه ، حيث زيَّن لبعض الصَّالحين من عباد الله الطَّعن في أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ورميها

(1) جامع البيان 182/12 : 185 .

(2) التحرير والتنوير 127/8 .

(3) النور من الآية 21 .

(4) تفسير مقاتل بن سليمان 413/2. وينظر: تفسير مجاهد . تحقيق.عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي 16/1 – المنشورات العلمية – بيروت .

(5) التحرير والتنوير 186/18 ، 187 .

بالفحشاء والمنكر ، فما كان لربِّ الأرض والسَّماء وما بينهما أن يخذل أولياءه ، ويدعهم لآثار الشَّيْطان وطرقه فبرَّأها بقرآنه الكريم حتى تظلَّ الألسنة منذ نزوله وإلى يوم القيامة تُرتِّل براءتها ، وتلهج بعفَّتها ، وتحفظ لها كرامتها وحقَّها ، وفي ذلك ذكرى للمؤمنين والمصدِّقين بكتاب ربِّهم ، وكذلك المؤمنات والمصدِّقات ، فيأتي النِّداء من ربِّ العباد - ﷻ - : " للمؤمنين به : يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشَّيْطان وطرقه ، ولا تقتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به ، فإنَّ الشَّيْطان يأمر بالفحشاء ، وهي الزِّنا ، والمكر من القول[1] " .

فليحذر الصَّالحون من عباد الله - ﷻ - من هدم تمثال القيم والأخلاق ، ومن ضرب عنوان الصَّلاح والرَّشاد ؛ وذلك باتباع خُطُوات الشَّيْطان وآثاره ، وطرقه العامَّة والخاصَّة ، فاتِّباعه فيه إثم وضلال ، والنَّجاة منه لا تكون إلا باتِّباع هدي خير العباد محمد - ﷺ - ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

الصُّورة الثَّانية : سبيل الخوف (خ و ف)

تظلُّ قلوب المؤمنين من عباد الله في رباط وارتباط بدينهم ، يحيون في ظلال منهجه وتقديس تعاليمه ، تبدو أمارات الأمن والأمان في حياتهم ، تحفُّهم السَّكينة ، ويظلُّهم الله في ظلِّه ، ولكن الشَّيْطان يتربَّص بهم ويكيد لهم ، فيريد أن يهدم عالمهم ، ويخرجهم من جنَّة ربِّهم ، فيسيطر عليهم ببعض الأفكار والأوهام والأكاذيب التي لا علاقة لها بعالم الواقع حتى يسلب منهم كل مقوِّمات التَّفكير الصَّحيح فيزرع فيها المخاوف التي تصدُّهم عن منهج ربِّهم ، وبالتالي يسرق من بين أحضانهم كل سُبُل الرَّاحة والسَّعادة .

وهذا ظنُّه ووهمه الخاطئ الذي شرعه لعباد الله الصَّالحين في هذا السَّبيل الذي يسمى بسبيل الخوف كما صَوَّره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] .

(1) جامع البيان 134/19 .
(2) آل عمران الآية 31 .
(3) آل عمران الآية 175 .

والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة[1] .

وقد حاول الشَّيْطان أن يملك بسبيل (الخوف) قلوب المؤمنين من عباد الله الصَّالحين حتى ينزع الإيمان من قلوبهم ، فيوهمهم ويرهبهم بكثرة عدِّوهم من المشركين ، فنبَّههم الله إلى خطر هذا الأمر : " إنَّما الذي قال لكم , أيُّها المؤمنون : (إنَّ النَّاسَ قد جَمَعُوا لكم)[2] ، فَخَوَّفوكم بجموع عدوكم ، ومسيرهم إليكم ، من فعل الشَّيْطان ، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوِّفكم بأوليائه من المشركين – أبي سفيان وأصحابه من قريش – ، لترهبوهم ، وتجبنوا عنهم[3] ... " .

فتخويف الشَّيْطان للمؤمنين عن طريق " تعظيم أوليائه في أعينكم ... عن السدي : ثم ذكر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين، إنما ذلكم الشَّيْطان يخوِّف أولياءه . قال : يعظِّم أولياءه في صدوركم فتخافوهم[4] " .

وقد " قال ابن عباس وغيره المعنى يخوِّفكم أولياءه ، أي بأوليائه أو من أولياءه ، فحذف حرف الجر ووصل الفعل إلى الاسم فنصب ، كما قال تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾[5] : أي لينذركم ببأس شديد ، أي يخوِّف المؤمن بالكافر[6] " .

ولكن يظَلُّ الخوف من الله أقرب إلى قلوب المؤمنين من تخويف الشَّيْطان لهم ، وما يلقيه عن طريق أوليائه من بثِّ الفزع والرُّعب فيهم، ومحاولة التَّفريق وبثِّ روح الخزلان بينهم ، حتى يقعدوا عن قتال عدوهم ، فيظل تعظيم الخالق ووعده بالنَّصر لهم أثبت عندهم من رؤية الشَّمس في وضح النَّهار ، ومن حركات أجسادهم التي يحيون بها ، ويصدرون أوامرهم

(1) المفردات ص 229.

(2) آل عمران من الآية 173 .

(3) جامع البيان 416/7 . وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 205 . وقد قيل : إنَّ المراد هذا الذي يخوِّفكم بجمع الكفار شيطان من شياطين الإنس ، إما نعيم بن مسعود أو غيره . الجامع لأحكام القرآن 283/4 .

(4) تفسير ابن أبي حاتم 820/3 ، 821 . وينظر : جامع البيان 417/7 ، والدر المنثور 391/2 .

(5) الكهف من الآية 2 .

(6) الجامع لأحكام القرآن 282/4 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 490/1 .

لها فتسمع وتطيع ، فتاجروا مع ربِّهم فربحت تجارتهم ، حتى يئس الشَّيْطان أن يعبد بأرضهم ، أو أن يجد له مسكنًا في قلوبهم .

" إنَّ الشَّيْطان هو الذي يضخِّم من شأن أوليائه ، ويلبسهم لباس القوَّة والقدرة ، ويوقع في القلوب أنَّهم ذو حول وطول ، وأنَّهم يملكون النَّفع والضر ، ذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه ، وليحقِّق بهم الشَّرَّ في الأرض والفساد ، وليخضع لهم الرِّقاب ويطوِّع لهم القلوب ، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار ؛ ولا يفكر أحد في الانتفاض عليهم ، ودفعهم عن الشَّرِّ والفساد . والشَّيْطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل ، وأن يتضخَّم الشَّرُّ ، وأن يتبدَّى قويًّا قادرًا قاهرًا بطاشًا جبَّارًا , لا تقف في وجهه معارضة ، ولا يصمد له مدافع ، ولا يغلبه من المعارضين غالب ، الشَّيْطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا . فتحت ستار الخوف والرهبة ، وفي ظلِّ الإرهاب والبطش ، يفعل أولياؤه في الأرض ما يقرُّ عينه ! يقلبون المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، وينشرون الفساد والباطل والضَّلال ، ويخفتون صوت الحَقِّ والرُّشد والعدل ، ويقيمون أنفسهم آلهة في الأرض تحمي الشَّر وتقتل الخير ، دون أن يجرؤ أحد على مناهضتهم والوقوف في وجههم ، ومطاردتهم وطردهم من مقام القيادة ، بل دون أن يجرؤ أحد على تزييف الباطل الذي يروِّجون له ، وجلاء الحق الذي يطمسونه. والشَّيطان ماكر خادع غادر ، يختفي وراء أوليائه ، وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته ، ومن هنا يكشفه الله ، ويوقفه عاريًا لا يستره ثوب من كيده ومكره ، ويعرف المؤمنون الحقيقة : حقيقة مكره ووسوسته ، ليكونوا منها على حذر ، فلا يرهبوا أولياء الشَّيْطان ولا يخافوهم ، فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربِّه ، ويستند إلى قوَّته . إن القُوَّة الوحيدة التي تخشى وتخاف هي القُوَّة التي تمتلك النَّفع والضر ، هي قوَّة الله , وهي القُوَّة التي يخشاها المؤمنون بالله ، وهم حين يخشونها وحدها أقوى الأقوياء ، فلا تقف لهم قوَّة في الأرض ، لا قوَّة الشَّيْطان ولا قوَّة أولياء الشَّيْطان ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[1] ".

ومن هنا فسمات الشَّيْطان واضحة المعالم ، بارزة بروز الشَّمس في كبد السَّماء مع

(1) آل عمران من الآية 175 . في ظلال القرآن 1/521 .

الصَّالحين من عباد الله ، ولكنها مبهمة مع أوليائه الذين عظَّموه ونصروه ، ﷺ وجعلوه هامة في عالم الأقزام : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1].

وقد قيل في بعض الآراء إن تخويف الشيطان في الآية يتجه إلى أوليائه المؤمنين به ، والخاضعين والمستسلمين له ، فـ " المعنى يخوف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين ، فأمَّا أولياء الله فإنَّهم لا يخافونه إذا خَوَّفهم[2] " .

فعلى ألسنة هؤلاء ظهرت كلمة الإسلام ، وأنطقهم الله بها ، ولكن قلوبهم منها خواء وأفئدتهم هواء،قبلتهم الشَّيْطان، ورأس مالهم الغدر والخيانة ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾[3] .

الصُّورة الثَّالثة : سبيل الرِّجْز (رجز)

يعيش الصَّالحون من عباد الله مع ربِّهم في عالم عنوانه الصِّدق والإخلاص والتَّقوى والصَّلاح ، تسعد قلوبهم وتطمئن جوارحهم , في حالة ربَّانيَّة وعلاقة إيمانيَّة ، وفي بيت هادئ تنسج خيوطه بالمحبَّة والوفاء ، يرقون إلى قمة الطَّاعة والولاء في علاقتهم بخالق الأرض والسَّماء،ولكن كيف يهنأ الشيطان وخصمه على تلك الحالة الربَّانية والصِّفة الإيمانية؟ .

يمنِّي الشَّيْطان نفسه بفرصة ذهبية يثني بها هؤلاء عن عبادة ربِّهم وتوحيد كلمتهم ، فيعرض عليهم المنكرات ويُجَمِّلها في أعينهم حتى يزيل من قلوبهم قلاع الإيمان وحصون هدي الرَّحمن سبحانه وتعالى فيهوي بهم من قمة الطَّاعة إلى قاع المعصية ، ومن بيوت أُسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان إلى بيت بُني على شفا جُرُف هار , ولكن تحقيق الأماني لا يكون بالتمنِّي بل يحتاج إلى كثير من وسائل الجدِّ والاجتهاد ، وسبل الإغواء والضَّلال ، وجيش جرار يمتلك أساليب الفتنة وفنون القتال , والصحابة الكرام – رضوان الله عنهم – يعيشون مع نبيِّهم – ﷺ – في حالة إيمانية قد تصل إلى درجة الكمال ، يقتفون أثره، ويسيرون على نهجه وخطاه ، ولكن الشَّيْطان لا تقر عينه ولا تهدأ نفسه ، إلا بعد أن يرى لسُبُله وطرقه

(1) الأنعام من الآية 125 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 282/4. وينظر : معاني القرآن وإعرابه 490/1 .

(3) الحشر من الآية 14 .

واقعًا ملموسًا في حياة هؤلاء العظام .

و(الرِّجْز) هو سبيل الشَّيْطان في هذه الصُّورة التي يقول فيها ربُّنا - ﷻ - : ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾[1] .

والرِّجْز هو القَذَر مثل الرِجْس[2]، وقيل معنى الرِّجْز في القرآن: هو العذاب المُقَلْقِل لشدَّته ، وله قلقلة شديدة متتابعة[3] .

وهذه الآية تعرض لبعض مواقف الصحابة في حربهم مع المشركين واستغلال الشَّيْطان لها ، حيث يجاهد نفسه في فرض سيطرته عليهم ، وتشويش عقيدتهم ، وإشعال نار الفتنة في قلوبهم ، حيث " بات المسلمون ليلة بدر على غير ماء ، فأصبحوا مجنبين ، فوسوس إليهم الشَّيْطان فقال : تزعمون أنكم على دين الله وأنتم على غير الماء وعدوكم على الماء تصلُّون مجنبين ، فأرسل الله عليهم السَّماء وشربوا واغتسلوا ؛ وأذهب الله عنهم رِجْز الشَّيْطان يعني وسوسته ، وكانوا في رمل تغيب فيه الأقدام فشدَّده المطر حتى اشتدَّ عليه الرِّجال ، فذلك قوله ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾[4] ".

وبذلك أذهب الله عنهم رجز الشَّيْطان ، والذي يمكن توجيه الدَّلالة فيه إلى ما أوقعه في قلوبهم من الصَّلاة بغير طهور ، أو ما أوقعه في قلوبهم من قوله ليس لكم بهؤلاء طاقة فيضعفوا عن قتال عدوهم[5].

إذًا فالرِّجْز قد يكون حِسِّيًّا أو معنويًا ، حيث قيل : " الرِّجْز القَذَر, والمراد الوسخ الحسِّي وهو النَّجس ، والمعنوي المعبر عنه في كتب الفقه بالحدث ، والمراد الجنابة ، وذلك هو الذي يعم الجيش كله ، فلذلك قال : ﴿ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، وإضافته إلى

---

(1) الأنفال الآية 11 .

(2) الصحاح 878/3 .

(3) لسان العرب 1589/3.

(4) معاني القرآن للفراء 404/1 . وينظر : جامع البيان 425/13 ، وتفسير ابن أبي حاتم 1665/5 ، والمحرر الوجيز 25/8 .

(5) ينظر : جامع البيان 425/13 ، وتفسير ابن ابي حاتم 1665/5 .

الشَّيْطان لأنَّ غالب الجيش لما ناموا احتلموا فأصبحوا على جنابة ، وذلك قد يكون خواطر الشَّيْطان يخيلها للنَّائم ليفسد عليه طهارته بدون اختيار طمعًا في تثاقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصُّبح ؛ ولأنَّ فقدان الماء يلجئهم إلى البقاء في تنجُّس الثِّياب والأجساد ، والنَّجاسة تلائم طبع الشَّيْطان[1] " .

ومع ذلك فما لطَّخه بكم من قذارة في الجسم بالحَدَث , أو في القلب بالوسوسة ، فماء المطر سيطهركم جسميًّا ونفسيًّا بالوضوء والصلاة[2] .

" والمدد على هذا النحو مدد مزدوج : ماديٌّ وروحي ، فالماء في الصحراء مادة الحياة ، فضلا على أن يكون أداة النَّصر ، والجيش الذي يفقد الماء في الصَّحراء يفقد أصحابه قبل أن يواجه المعركة ، ثم هذه الحالة النَّفْسيَّة التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشَّيْطان ! حالة التحرُّج من آداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء ، (ولم يكن قد رخص لهم بعد في التَّيمم ، فقد جاء هذا متأخرًا في غزوة بني المصطلق في السَّنَة الخامسة) ، وهنا تثور الهواجس والوساوس ، ويدخل الشَّيْطان من باب الإيمان ليزيد حرج النُّفوس ووجل القلوب ! والنُّفُوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها , وهنا يجئ المدد وتجيء النَّجْدة ... ويتمُّ المدد الرُّوحي بالمدد المادي؛ وتسكن القلوب بوجود الماء ، وتطمئن الأرواح بالطَّهارة ، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرِّمال[3] " .

وعلى أيَّة حال فما إن أنزل الله ماء المطر حتى ذهب وزال عنهم رِجْز الشَّيْطان ووساوسه التي كاد بها أن يفتنهم في دينهم, ويلبِّس عليهم عقيدتهم ، ولكن رحمة الله وعنايته كانت أقرب إليهم ، فأنزل عليهم الصَّبر فثبتوا في وجوه عدوِّهم حتى كتب لهم النَّصر عليهم ، فما كان للشَّيطان على هؤلاء الصَّحب العظام من سبيل .

وفي التَّطهير بالماء دَلالة على أن إطفاء رِجْز الشَّيْطان ووسوسته كإطفاء نار الغضب واشتعاله ، فالغضب نتاج من خَطَراته ، فإذا غضب المؤمن واشتد غضبه ، أو سيطر عليه

(1) التحرير والتنوير 279/9 .

(2) القاموس القويم 255/1 . وينظر : معاني القرآن للفراء 242/2 , والمفردات ص 274.

(3) في ظلال القرآن 1485/3 .

شيطانه فليذهب إلى وضوئه حتى يطمئن فؤاده وتسكن جوارحه ، فتستقر عقيدته على توحيد ربِّه وطاعته ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

الصُّورة الرَّابعة : سبيل الزَّلل (زل ل)

لن تتحقَّق الآمال بالخلود إلى النَّوم ، ولن تكون الأحلام حقيقة مشاهدة بالدَّعة والركون إلى الرَّاحة ، إنَّما يحتاج صراع الحياة إلى أصحاب النَّفس الطَّويل ، فقد يكبو المرء في حياته ، ولكن ليس معنى ذلك أن ينكسر أو يظل قابعًا في كبوته إنَّما عليه أن يقف ويصلب ويشتدَّ صلبه حتى يعود من محنته كجواد أُحْسِن تدريبه فبرع وفاق الأقران .

وكذلك يكون الشَّيْطان ، فليس معنى فشله في مهمَّة من المهمات أن يصاب بالكسل والإحباط ، أو أن يصاب بالذِّلة والهوان ، فلن يضعف ذلك من عزيمته أو يثنيه عن هدفه ، ولكن يجهِّز نفسه ويعود للسَّاحة بعدما تعلَّم الدرس وأتقن فنونه بخبراته الطَّويلة التي مارسها مع جميع بني آدم ، فيزداد بها مكرًا ودهاء وخداعًا .

فالشَّيْطان قد عرض رِجْزه على الصَّحابة الكرام – رضوان الله عنهم – في سبيل سابق فوجد بها قلوبًا تمكَّن منها الإيمان ، وصدًّا منيعًا في جميع وجوه الذُّنوب والمعاصي والآثام ، فأبى كبرياؤه أن يرفع راية الاستسلام فحوَّل رداءه إلى سبيل آخر من سُبُل الإغراء والوسوسة والخداع .

والزَّلَّة هي هذا السَّبيل الذي حاول الشَّيْطان من خلاله أن يفتح بابًا إلى قلوب الصَّحابة الكرام – رضوان الله عنهم – جَسَّدته لفظة (ٱسْتَزَلَّهُم) في قول الله – ﷻ – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2] .

فهذه الآية تعرض لحال الذين تولَّوا عن قتال المشركين عامَّة يوم أُحُد ، وذلك بسبب ما زيَّنه الشَّيْطان لهم من خطايا أسلفت منهم ، فهم – رضوان الله عنهم – " لم يتولَّوا في قتالهم على جهة المعاندة ، ولا على الفِرار من الزحف رغبة في الدُّنيا خاصَّة ، وإنما ذكَّرهم الشَّيْطان

(1) الزمر من الآية 21 .

(2) آل عمران الآية 155 .

خطايا كانت لهم فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها ، فلذلك عفا عنهم وإلا فأمر القتال والتولِّي في الجهاد إذا كانت العُدَّة أقل من المثلين أو كانت العُدَّة مثلين، فالفرار أمر عظيم[1] " .

وقيل بأن استزلال الشَّيْطان في الآية يتَّجه إلى هؤلاء الرُّماة خاصَّة ، وذلك من خلال " مفارقة موقفهم وعصيان أمر الرَّسُول ، والتنازع ، والتَّعجيل إلى الغنيمة ، والمعنى أن ما أصابهم من آثار الشَّيْطان وما هم فيه ببعض ما كسبوا من صنيعهم ، والمقصد من هذا إلقاء تبعة ذلك الانهزام على عواتقهم[2] " .

وعلى وجه العموم فقد عرض بعض العلماء عدَّة دَلالات لقوله تعالى : (مَا كَسَبُواْ) منها : " قال الحسن (مَا كَسَبُواْ) قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم . وقال الكلبي : زيَّن لهم الشَّيْطان أعمالهم . وقيل : لم يكن الانهزام معصية , لأنَّهم أرادوا التَّحصُّن بالمدينة , فيقطع العدو طمعه فيهم لما سمعوا النبي – ﷺ – قُتِل ، ويجوز أن يقال : لم يسمعوا دعاء النبي – ﷺ – للهول الذي كانوا فيه . ويجوز أن يقال : زاد عدد العدو على الضِّعف ؛ لأنهم كانوا سبعمائة والعدد ثلاثة آلاف ، وعند هذا يجوز الانهزام ولكن الانهزام عن النبي – ﷺ – خطأ لا يجوز ، ولعلهم توهَّموا أن النبيَّ – ﷺ –انحاز إلى الجبل أيضًا ، وأحسنها الأول ، وعلى الجملة فإن حمل الأمر على ذنب محقَّق فقد عفا الله عنه ، وإن حمل على انهزام مسوغ فالآية فيمن أبعد في الهزيمة وزاد على القدر المسوغ[3] " .

إذًا فهذه الآية فيها " يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أُحُد وما الذي أوجب لهم الفرار ، وأنَّه من تسويل الشَّيْطان ، وأنَّه تسلَّط عليهم ببعض ذنوبهم ، فهم الذين أدخلوه على أنفسهم ، ومكَّنوه بما فعلوا من المعاصي لأنَّها مركبه ومدخله ، فلو اعتصموا بطاعة ربِّهم لما كان له عليهم من سلطان ، قال تعالى :﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾[4]، ثم أخبر أنَّه عفا عنهم بعد ما فعلوا ما يوجب المؤاخذة ، وإلا فلو واخذهم لأستأصلهم[5] " .

(1) معاني القرآن وإعرابه 1/481 .
(2) التحرير والتنوير 4/140 .
(3) الجامع لأحكام القرآن 4/244 .
(4) الإسراء من الآية 65 .
(5) معالم التنزيل 1/153 .

فالآية الكريمة ترفع شعار غلق جميع أبواب الشَّيَاطين ، وبناء سدٍّ منيع لمنعهم من التَّسلُّل إلى قلوب المخلصين من عباد الله - ﷻ - حتى تظلَّ في مأمن من وساوسهم وهواجسهم ، فالآية " في عمومها تصوير لحال النَّفْس البشريَّة حين ترتكب الخطيئة، فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف بالله ارتباطها ، ويختل توازنها وتماسكها ، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس ، بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه ! وعندئذ يجد الشَّيطان طريقه إلى هذه النَّفس ، فيقودها إلى الزِّلة بعد الزَّلة ، وهي بعيدة عن الحمى الآمن ، والركن الركين . ومن هنا كان الاستغفار من الذَّنب هو أول ما توجَّه به الرِّبيون الذين قاتلوا مع النبيين في مواجهة الأعداء. الاستغفار الذي يردُّهم إلى الله ، ويقوِّي صلتهم به، ويعفي قلوبهم من الأرجحة ، ويطرد عنها الوساوس , ويسدُّ الثغرة التي يدخل منها الشَّيْطان ، ثغرة الانقطاع عن الله ، والبعد عن حماه ، هذه الثَّغْرة التي يدخل منها فيزل أقدامهم مرَّة ومرَّة ، حتى ينقطع بهم في التيه ، بعيدًا بعيدًا عن الحمى الذي لا ينالهم فيه ! ويحدِّثهم الله أن رحمته أدركتهم ، فلم يدع الشَّيْطان ينقطع بهم ، فعفا عنهم ، ويعرفهم بنفسه – سبحانه– فهو غفور حليم ، لا يطرد الخطاة ولا يعجل عليهم ، متى علم من نفوسهم التطلُّع إليه ، والاتصال به ، ولم يعلم منها التمرُّد والتفلت والإباق[1] ! ".

فهذه رسالة إلى كل من أدركه الزَّلل فوقع في مخالفة ، أو لبَّس عليه الشَّيْطان أمر دينه , أو تاهت به السُّبُل أن يعلم أن مغفرة الله وعفوه وحلمه أقرب إليه من حبل الوريد ، وأن من أدركته سحائب الرحمة ، ونسمات الهدى ، ورحيق الرَّشاد فهو العبد السعيد ، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] .

الصُّورة الخامسة : سبيل الطَّائف (ط و ف)

تحتاج السِّباحة إلى مهارات وقدرات خاصَّة , وكذلك الرِّماية والفروسيَّة ، وكل مجال تجد فيه بابًا من أبواب المنافسة ، فتلحظ البراعة والتفوق لِمَنْ يجيد فنَّ التَّعامل مع خصمه .

وحال الشَّيْطان كحال الصائد البارع الذي يحوم حول فريسته التي يريد أن ينقضَّ عليها ، فيحقِّق من خلالها آماله وأحلامه ، فهو صاحب موهبة خاصَّة وقدرات هائلة تمكِّنه من

---

(1) في ظلال القرآن 1/497 ، 498 .

(2) هود الآية 108 .

اختراق قلوب بني آدم والسَّيطرة عليها , وخاصَّة هؤلاء السُّكارى الذين تمكَّن منهم حبُّ الدُّنيا وكراهيَّة الموت ، أما الصَّالحون فلا سبيل إلى استعباد قلوبهم .

والشَّيْطان في هذا السبيل يقدِّم أنموذجًا مصغرًا يُجَسِّد من خلاله صورة من يحوم حول حمى بني آدم فيداعب أفكارهم وخيالاتهم ، ويسرح بها في عالم الفضاء ، فيخيُّل إليهم أن الحلم حقيقة والوهم صدق ويقين ، حيث يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم , في صحوهم ومنامهم ، في جدِّهم وهزلهم ، في شبابهم وأراذل عمرهم ، يقدِّم لهم ما يشتهون ويحقِّق لهم ما يتمنون في عالم الخيال حتى يسيل لعابهم ويقعون فريسة لمكره وخداعه، ولكن أنَّى يتحقَّق له ذلك في عالم عنوانه : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾[1]؟! .

وهذا هو سبيل (الطَّائف) الذي عرض له القرآن الكريم في قول ربِّنا – ﷻ – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ . وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾[2] .

فالطَّواف هو : " المشي حول الشيء . ومنه الطَّائف لمن يدور حول البيت حافظًا . يقال : طاف به يطوف[3] " .

" فالطَّائف هو الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له ، فهو النازل بالمكان قبل دخوله المكان ، أطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النَّفْس يبعث على فعل شيء نهي الله عن فعله ، شَبَّه ذلك الخاطر في مبدأ جولاته في النَّفْس بحلول الطائف قبل أن يستقرَّ ، وكانت عادة العرب أن القادم إلى أهل البيت ، العائذ بربِّ البيت , المستأنس للقرى يستأنس ، فيطوف بالبيت ، ويستأذن[4] " .

وأما " الطَّائف من الشَّيْطان : مَسُّه للإنسان بالوسوسة ، فهو يأتيه من كل جهة ليضلَّه ولا ينجِّيه منه إلا ذكر الله[5] " .

---

(1) الأحزاب من الآية 23 .

(2) الأعراف الآيتان 201 ، 202 .

(3) المفردات ص 412 . وينظر : لسان العرب 2722/4 .

(4) التحرير والتنوير 232/9 .

(5) القاموس القويم 409/1 .

وطائف الشَّيْطان في الآية قد تتَّجه دَلالته نحو " الغضب ، أو إذا زلُّوا تابوا أو الَّلمة من الشَّيْطان ، أو طائف من الطوفان ، أي يطوف عليهم بوساوسه يأمرهم بالمعصية[1] " .

" قال الأزهري : الطَّيف في كلام العرب الجنون , وقيل للغضب طيف لأنَّ الغضبان يشبه المجنون . وقيل سُمِّي الجنون والغضب والوسوسة طيفًا لأنَّه لمَّة من الشَّيْطان تشبه لمَّة الخبال فذكر في الآية الأولى النَّزغ وهو أخفُّ من الطَّيف المذكور في هذه الآية ؛ لأنَّ حال الشَّيْطان مع الأنبياء أضعف من حاله مع غيرهم[2] " .

فهذه الآية الكريمة تعرض لحال المؤمنين الصَّادقين مع أنفسهم المخلصين لربِّهم ، يحاول الشَّيْطان أن يتمكَّن منهم في كل طريق سلكوه، أو منهج اتَّبعوه ، ولكن لن يكون له عليهم من سلطان ، في حين يتمكَّن من قلوب هؤلاء الذين استمعوا وأنصتوا له ، واتَّبعوا هديه ، وساروا على دربه ، وهذا هو عنوان الآية التي تليها .

وهنا تتجلَّى ملامح الإيمان والكفر في أبرز صورها ، حيث سيطرت مخافة الله على قلوب المخلصين ، ومخافة الشَّيْطان على قلوب الكافرين ، حيث تجد أن " ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الله من خلقه ، فخافوا عقابه ، بآداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ﴿ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ ... إذا ألمَّ بهم لمم من الشَّيْطان من غضب أو غيره مما يصدُّ عن واجب حقِّ الله عليهم ، تذكَّروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشَّيْطان ... فيقال : إن الذين اتَّقَوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشَّيْطان ، ما كان ذلك العارض ، تذكَّروا أمر الله وانتهوا إلى أمره . وأما قوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ , فإنَّه يعني : فإذاهم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه , فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشَّيْطان ... عن ابن عباس : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ يقول : إذا هم منتهون عن المعصية ، آخذون بأمر الله ، عاصون للشَّيطان[3] "

---

(1) ينظر : تفسير مجاهد 126/1 ، وتفسير ابن أبي حاتم 1640/5 ، و الدُّر المنثور 632/3 ، ولباب التأويل 329/2 .

(2) لباب التأويل 329/2 .

(3) جامع البيان 333/13، 334، 373 . وينظر : تفسيرمقاتل بن سليمان 430/1 .

ف " المتَّقي إذا أحسَّ بذنب ، ومسَّه طائف من الشَّيْطان ، فأذنب بفعل محرَّم أو ترك واجب تذكَّر من أي باب أُتِيَ ، ومن أي مدخل دخل الشَّيْطان عليه ، وتذكَّر ما أوجب الله عليه ، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى ، واستدرك ما فرط منه بالتَّوبة النَّصُوح والحسنات الكثيرة ، فرَّد شيطانه خاسئًا حسيرًا ، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه . وأما إخوان الشَّيَاطين وأولياؤهم ، فإنَّهم إذا وقعوا في الذُّنوب ، لا يزالون يمدونهم في الغيِّ ذنْبًا بعد ذنب ، ولا يقصِّرون عن ذلك ، فالشَّيَاطين لا تقصر عنهم بالإغواء ، لأنَّها طمعت فيهم ، حين رأتهم سلسي القياد لها ، وهم لا يقصِّرون عن فعل الشَّرِّ[1] " .

فالموازنة إذًا بين فريقين ، فريق تجنَّب طائف الشَّيْطان ، وفريق وقع في شراكه ، فالآيتان " خبر عن فريقي الإيمان والكفر ، بأنَّ فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزَّلهم الشَّيْطان تذكَّروا عظمة الله وعقابه ، فكفَّتهم رهبته عن معاصيه ، وردَّتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله ممَّا كان منهم زِلَّة ، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشَّيْطان غيًّا إلى غيِّهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله ، ولا يحجزهم تقوى الله , ولا خوف الميعاد إليه عن التَّمادي فيها والزِّيادة منها , فهم أبدًا في زيادة من ركوب الإثم ، والشَّيْطان يزيده أبدًا ، لا يقصر الإنسيُّ عن شيء من ركوب الفواحش ، ولا الشَّيْطان من مَدِّه منه[2] " .

فهؤلاء هم حزب الله الذين احتموا بحماه ، فأبصروا الحقَّ واتَّبعوه , وآووا الهدى ونصروه ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3], ثم هؤلاء هم حزب الشَّيْطان الذين كان لدربهم رفيقًا،ولو وحدتهم أنيسًا ولغربتهم أليفًا﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[4].

وهكذا يطوف الشَّيطان بالمؤمنين من عباد الله – ﷻ – فيجد أعينًا لا تبصر ، وآذانًا لا تسمع ، وقلوبًا تمكَّن الإيمان منها , فيسافر إلى أوليائه المخلصين له فيجد أرضًا خصبة يزرع فيها ويحصد في يوم وليلة ، حيث تبصر العيون ، وتسمع الآذان ، والقلوب التي تمكَّن الشِّرك والنِّفاق منها.

---

(1) معالم التنزيل 313/1 .

(2) جامع البيان 338/13 . وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 430/1 ، 431 .

(3) المجادلة من الآية 22 .

(4) المجادلة من الآية 19.

ولذلك مع المؤمنين المخلصين جاء " التعبير بفعل (مَسَّهم) الدَّال على إصابة غير مكينة ، إشارة إلى أن الفزع إلى الله من الشَّيْطان ، عند ابتداء إلمام الخواطر الشَّيْطانية بالنَّفْس ؛ لأنَّ تلك الخواطر إذا أمهلت لم تلبث أن تصير عزمًا ثم عملا[1] " .

لذلك تنطق هذه الحقيقة التي تؤكِّد أن " مسَّ الشَّيْطان عمى ، وأن تذكُّر الله إبصار ، إن مسَّ الشَّيْطان ظلمة ، وإن الاتجاه إلى الله نور ، إن مسَّ الشيطان تجلوه التَّقْوى ، فما للشَّيْطان على المتَّقِين من سلطان[2]" .

فمن أبصر طريق الحَقِّ واتَّبَعه كان الهدى له ضياء ، ومن أظلم عقله وقلبه فليس له يوم القيامة عند الله عزاء ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[3] .

الصُّورة السَّادسة : سبيل العمل (ع م ل)

يحرص الشَّيْطان على تنوِّع أشكاله واختلاف ألوانه ظنًّا منه أنَّ هذا يساعده على تحقيق آماله وأحلامه ، ولكن ربَّما تتَّحد صورته ويبقى رسمه ثابتًا عندما يدخل إلى روضة الأنبياء والصَّالحين.

وقد ظهر أثر ذلك في عنوان الرِّسَالة الثَّانية والتي كان (عمل الشيطان) فيها سبيلا إلى أنبياء الله ورسله ، وبالتَّالي لم تتغير صورته مع هؤلاء الذين يتأسون بحياة أنبيائهم ، ويقتدون بهديهم ، وهم الصَّالحون ، الذي أعلوا بناء الدِّين ورفعوا قواعده ، وكأنَّه لا يهدأ ولا يفتر عن المخلصين من عباد الله – ﷻ – .

فالشَّيْطان في حركه دائمة وعمل متواصل ، تساعده إمكاناته وطاقاته ، حريص على تحقيق هدفه ، يقدِّر الخُطْوة قبل أن يخطوها ، يعلم مدخل كل إنسان ومخرجه ، ما يحبُّ وما يكره ، رافعًا سلاحه ، لا يحطُّ رحاله ، ولا يعتريه الوهن أو الضَّعف ، بل يظل شعاره دائمًا رفع راية العصيان ، وأسرُّ القلوب والأبدان ، يحيا في عالم الآثام وكله رغبة ورجاء في هلاك

(1) التحرير والتنوير 232/9 ، 233 .
(2) في ظلال القرآن 1420/3 .
(3) الإسراء الآية 72 .

بني الإنسان ، فهل يتذكَّر من صرف وجهه وقلبه عن هدي الرَّحمن ، وارتمى في أحضان الشَّيْطان ؟ .

وقد حَذَّر القرآن الكريم من كل هذا درءًا للفتنة ، وإثباتًا للحجَّة والبيِّنة , وذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1] .

وهذه الآية " نزلت في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – , وفي رجل من الأنصار , يقال : عتبان بن مالك الأنصاري ، وذلك أنَّ الأنصاري صنع طعامًا ، وشوي رأس بعير، ودعا سعد بن أبي وقاص إلى الطَّعام، وهذا قبل التَّحريم ، فأكلوا وشربوا حتى انتشوا ، وقالوا الشِّعر ، فقام الأنصاري إلى سعد ، فأخذ إحدى لحيي البعير، فضرب به وجهه فشَجَّه ، فانطلق سعد مستعديًا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزل تحريم الخمر[2] " .

والشَّيْطان في هذا السَّبيل حاول أن يتسلَّل إلى قلوب الصَّالحين المخلصين ، وذلك من خلال بعض الأشياء التي رغبوا فيها في جاهليتهم واشتدَّ حرصهم عليها ، حيث كانت من جملة عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، وذلك حتى لا ينهضوا لمقاومته أو مصارعته فبدأ " بالخمر" وهي كل ما خامر أو ستر العقل ، ثم " الميسر" يعني به القمار كله ، والأنصاب : يعني الحجارة التي كانوا ينصبونها ويذبحون لها ، والأزلام: سهام كانت في الكعبة يقتسمون بها في أمورهم وواحدها زَلَمَ[3] .

ولكن الله – عز وجل – نبَّههم وحذَّرهم من خطورة هذه الأشياء ومآلها في الدُّنيا والآخرة ، فأرسل إليهم هذه الرِّسَالة النَّصِّيَّة التي ينصُّ فيها على حرمة هذه الأشياء وعلى جرم فاعليها ، فوصفها جميعًا بأنَّها رجس من عمل الشيطان " والرِّجْس في اللغة : اسم لكل ما استُقْذِر من عمل ، فبالغ الله في ذمِّ هذه الأشياء ، وسماها رجْسًا ، وأعلم أنَّ الشَّيْطان يُسَوِّل ذلك لبني آدم

---

(1) المائدة الآيتان 90 ، 91 .

(2) تفسيرمقاتل بن سليمان 319/1 .

(3) ينظر : معاني القرآن للفراء 319/1 ، ومعاني القرآن وإعرابه 291/1 ، 203/2 ، وتفسير مقاتل بن سليمان 319/1 .

، يقال رَجِسَ الرجل يَرْجَسُ ، ورجَسَ يَرْجُسُ ، إذا عمل عملا قبيحًا ، والرِّجْس - بفتح الراء - : شدَّة الصَّوت ، فكان الرِّجس العمل الذي يقبح ذكره ، ويرتفع في القبح[1] " .

فالشَّيْطان يُجَمِّل الأشياء في الظَّاهر ، ويُزَيِّنها في العيون والقلوب حتى تبدو وكأنَّها ذهب خالص لم تمسه الأيدي ، حتى إذا ما دنت منها النَّفْس وهمَّت بتقبيلها واحتضانها أغلقت عيون الصَّالحين جفونها ، وقلوبهم أبوابها ، فالشَّيْطان " يُحَسِّن ذلك لكم ، إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر، ومياسرتكم بالقداح ليعادي بعضكم بعضًا ، ويبغِّض بعضكم إلى بعض ، فيشتِّت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان ، وجمعه بينكم بإخوة الإسلام . ويصدكم عن ذكر الله ... ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم ، وباشتغالكم بهذا الميسر ، عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم وعن الصَّلاة التي فرضها عليكم ربُّكم[2] " .

فليعلم الصَّالحون أن الشَّيْطان يعمل على تفعيل هذه الأشياء وتقويتها في قلوبهم , وزرعها في حدائق حياتهم ، فهي صورة واقعية من عمله كلما خبت زادها اشتعالا ، فهذه الأشياء " موجبة للعداوة والبغضاء بين النَّاس ، والشَّيْطان حريص على بثِّها ، خصوصًا الخمر والميسر ، ليوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء ، فإنَّ في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه ، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين , خصوصًا إذا اقترن بذلك من السِّباب ما هو من لوازم شارب الخمر ، فإنَّه ربَّما أوصل إلى القتل ، وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر ، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة ، ما هو أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء ، ومنها أن هذه الأشياء تصدُّ القلب ، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصَّلاة ، اللذين خلق لهما العبد ، وبهما سعادته ، فالخمر والميسر ، يصدَّان عن ذلك أعظم صدٍّ , ويشتغل قلبه ، ويذهل لُبُّه في الاشتغال بهما ، حتى يمضي عليه مدَّة طويلة وهو لا يدري أين هو ، فأيُّ معصية أعظم وأقبح من معصية تدنِّس صاحبها ، وتجعله من أهل الخبث ، وتوقعه في أعمال الشَّيْطان

(1) معاني القرآن وإعرابه 2/203 ، 204 .

(2) جامع البيان 10/565 .

وشباكه ، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها ، وتحول بين العبد وبين فلاحه ، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ، وتصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها[1] ؟ " .

فهذا هو الشَّيْطان ينتقل بالصَّالحين من سبيل إلى آخر ، يُزَيِّن لهم الحرام ويُجَمِّله في أعينهم حتى ينتقل بهم من وصف الصالحين من عباد الله – ﷻ – إلى الخارجين عن حدوده ظنًّا منه أنه سيجد مسكنًا في قلوبهم ، أو هوى في أنفسهم ، ولكن هيهات ذلك وحصنهم الحصين منهج ربِّهم وهدى نبيِّهم محمد – ﷺ – .

فإذا كان الشَّيْطان رمز الفساد وعنوان الضَّلال في الأرض فالمؤمنون رمز الصَّلاح ومن سكنوا بإيمانهم القلب , فلن تهتز صورتهم ولن يستطيع وجه التَّاريخ أن يغيِّر حقيقة طاعتهم وتوحيدهم وإخلاصهم لربِّهم ، فمَنْ كانت قبلتهم الإيمان ، وعنوان حياتهم طاعة الرَّحمن فلن تجد للشَّيْطان معهم مجال ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[2] .

الصُّورة السَّابعة : سبيل الكيد (ك ي د)

يحيا الشَّيْطان مع حياة أوليائه المؤمنين به ، ويخيب رجاؤه وتنقطع آماله ، ويموت حسرة وغيظًا مع أولياء الرَّحمن الذين يحيون حياة ملائكيَّة ، لا تخدعهم الأوهام الكاذبة ولا الأحلام المشوَّهة ، إنَّما يحملون في قلوبهم إيمان الأولياء ، وزهد الأصفياء ، ينير الإيمان دروبهم ، فتنشرح عقولهم وصدروهم .

وفي هذه الحالة لا ييأس الشَّيْطان من تحويل قبلة حياتهم ، بل يحاول أن يقوِّي شوكة أوليائه حتى يصاب أولياء الرَّحمن بالوهن والضَّعف ، فترتجف أفئدتهم قبل أجسادهم فيستحوذ عليهم ، – ظنًّا منه كما صوَّر له خياله المريض – ، وذلك من خلال كيده الذي يكيده به لهم كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا[3] ﴾ .

---

(1) تيسير الكريم الرَّحمن ص 243 . وينظر : في ظلال القرآن 2/ 975 , 976 .

(2) الحجر الآية 42 .

(3) النساء الآية 76 .

والكيد: هو عبارة عن سلوك الطُّرق الخفيَّة في ضرر العدو[1]، أو ضرب من الاحتيال ، وقد يكون مذمومًا وممدوحًا ، وإن كان استعماله في المذموم أكثر[2] .

وأما الآية فهي تُجَسِّد صورة ميدان المعركة عندما يلتقي الحزبان ، أولياء الرَّحمن الذين يقاتلون من أجل تحقيق منهج الله في الأرض رجاء الفوز بثوابه والخوف من عقابه ، وأولياء الشَّيْطان الذين يقاتلون من أجل كراهية المؤمنين وانتصارًا لمنهج الهوى والشَّهوات .

وهنا يأتي دور الشَّيْطان في إبراز حيله ومكره وخداعه ، وذلك عن طريق (الكيد) ، والمراد " بكيد الشَّيْطان : تدبيره ، وهو ما يظهر على أنصاره من الكيد للمسلمين والتدبير لتأليب الناس عليهم[3] " .

فكيده إذًا " ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه من الكُفَّار بالله على رسوله ، وأوليائه أهل الإيمان به[4] " .

فالشَّيْطان في هذا الموقف يحاول بمكره واحتياله خداع المؤمنين بكثرة عدد المشركين وعتادهم , حتى يلقي الوهن والضَّعف في قلوبهم .

ولذلك فربُّ العباد – ﷻ – في هذه الآية يقارن بين أوليائه من المؤمنين وأعدائه من الشَّيَاطين وحزبه، فيرد كيد الشَّيطان على نفسه ، فهو وأولياؤه خواء لا أثر لهم في بثِّ روح الخوف والخزلان في نفوس المؤمنين " فلا تهابوا أولياء الشَّيْطان ، فإنَّما هم حزبه وأنصاره ، وحزب الشَّيْطان أهل وَهَن وضَعف ، وإنما وصفهم جلَّ ثناؤه بالضَّعف ، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب ، ولا يتركون القتال خوف عقاب ، وإنَّما يقاتلون حَمِيَّة أو حسدًا للمؤمنين على ما أتاهم الله من فضله ، والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله ، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه ، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل ، وبما له من الغنيمة والظَّفْر إن سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل ، وإياس من مَعَاد ، فهو ذو ضعف وخوف[5] " .

(1) تيسير الكريم الرَّحمن ص187 .
(2) المفردات ص 666 .
(3) التحرير والتنوير 124/5 .
(4) جامع البيان 547/8 .
(5) جامع البيان 546/8 ، 547 . وينظر: الجامع لأحكام القرآن 280/5 , وتيسير الكريم الرَّحمن ص 187 , ومعالم التنزيل 250/2 .

إذًا ف " الشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنَّه في غاية الضَّعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحَقِّ ، ولا يكيد الله لعباده المؤمنين[1] " .

فالمؤمن يظلُّ دائمًا في حمى ربِّه ، مصونًا بصون الله له ، واثقًا من تأييده ونصره ، سعيدًا بالدفاع عن دينه،وإن ذهب إلى عالم الأموات في سبيله،عالمًا بضعف الشَّيْطان ومكره وخداعه فيظل في مأمن منه ، محفوظًا بحفظ الله له ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

ف " الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ؛ لتحقيق منهجه ، وإقرار شريعته ، وإقامة العدل " بين الناس " باسم الله ، لا تحت أي عنوان آخر، اعترافًا بأنَّ الله وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطَّاغوت ، لتحقيق مناهج شتَّى – غير منهج الله – وإقرار شرائع شتَّى – غير شريعة الله – وإقامة قيم شتَّى – غير التي أذن بها الله – ونصب موازين شتَّى غير ميزان الله ! ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته ، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشَّيْطان بشتَّى راياتهم ، وشتَّى مناهجهم ، وشتَّى شرائعهم ، وشتَّى طرائقهم ، وشتَّى قيمهم ، وشتى موازينهم ، فكلهم أولاء الشَّيْطان ... الشَّيْطان وليُّهم ، فهم إذن ضعاف ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ "[3] .

فالشَّيْطان إذًا وإن ظهرت علامات مكره وخداعه في حياة المؤمنين به ، المصدِّقين بأوهامه وأكاذيبه ، الذين صفَّقوا له وعانقوه عناق المحبِّ لحبيبه ، فقاتلوا وضحُّوا من أجله , وذهبوا إلى عالم الأموات من أجل نصرة مذهبه ، فالمؤمنون هم من قاتلوا لتكون ﴿ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾[4], فلم يخدعوا بما

---

(1) تيسير الكريم الرَّحمن ص187 . وقيل إن مكره وكيده في الآية" أراد به يوم بدر حين قال للمشركين ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ ﴾ الأنفال الآية 48 . الجامع لأحكام القرآن 280/5. وذلك " لمَّا رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخزلهم " . معالم التنزيل 250/2 .

(2) الملك الآية 22 .

(3) في ظلال القرآن 709/2 .

(4) التوبة من الآية 40 .

كاد به لهم ، ولم يضعفوا أمام عدوهم ، فكيده أضعف من أن يؤثِّر فيهم ، أو يهز شعرة واحده من رؤوسهم ، فلم يخافوا أو يجبنوا أمام الموت ، ولم تكن الدُّنيا عقبة في تحقيق أهدافهم ؛ وذلك لأنَّ حقيقة إيمانهم تشهد بأنَّهم يؤمنون بكلام ربِّهم الذي يقول ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] .

الصُّورة الثَّامنة : سبيل النَّجْوى (ن ج و)

يبتكر الشَّيْطان في هذا السَّبيل بعض أساليب مكره وخداعه حتى يفتن بها قلوب المؤمنين المخلصين من عباد الله – ﷻ – ، ظنًّا منه أنَّه بذلك يوغر قلوبهم ويحوِّلها إلي كتلة من الغيظ تشتعل نارًا ، دائمًا ملتهبة لا تهدأ أبدًا ، فينتقل بهم من عالم الإيمان والسَّعادة والاطمئنان بوعد الله ونصره لهم إلى عالم ليس للصِّراع فيه حدود ، ولا لليل فيه انجلاء ، وإنما الكلمة فيه لصورة الأجساد التي لا تحمل القلوب فيها إلا إحساس بالذِّلة والهوان والحزن والآلام ، نتاجًا لصورة الخداع ، وإظهارًا لقوة وهميَّة لا حقيقة لها إلا في الخيال والأوهام .

فهذا هو سبيل (نجوى) الشَّيْطان الذي يكيد به للمؤمنين المخلصين ، والذي عرضت له الآية الكريمة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

فالنَّجْوى هي من نجاه نَجْوًا ونَجْوى : سارَّه ، والنَّجْوى والنَّجِي : السِّرُّ [3] ، والنَّجْو : السِّرُّ بين اثنين ، يقال : نجوته نَجْوًا : إذا ساررته ، وكذلك ناجيته[4] .

والنَّجْوى في الآية الكريمة مدخل من مداخل الشَّيْطان، وهي أن تجتمع طائفة بعيدًا عن الجماعة المسلمة وعن القيادة المسلمة لتبيت أمرًا[5] , حيث " كان المنافقون يتناجون بينهم ، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم[6] ".

---

(1) آل عمران الآية 169 .

(2) المجادلة الآية 10.

(3) لسان العرب 4361/6 .

(4) الصحاح 2503/6 .

(5) في ظلال القرآن 758/2 .

(6) جامع البيان 241/13 .

وقد " تناجى أعداء المؤمنين بالمؤمنين ، بالمكر والخديعة ، وطلب السوء من الشَّيْطان ، الذي كيده ضعيف،ومكره غير مفيد(ليحزن الذين آمنوا) هذا غاية هذا المكر ومقصوده[1] ".

لذلك كانت هذه الآية " تسلية للمؤمنين وتأنيس لنفوسهم يزال به ما يلحقهم من الحزن لمشاهدة نجوى المنافقين لاختلاف مذاهب نفوسهم إذا رأوا المتناجين في عديد الظُّنون والتخوفات ... والمعنى أن النَّجْوى يوهم الذين آمنوا ما ليس واقعًا فأعلمهم الله أن لا يحزنوا بالنَّجْوى ؛ لأنَّ الأمور تجري على ما قدَّرَه الله بنفس الأمر حتى تأتيهم الأخبار الصادقة[2] " .

فمهما تلوَّنت صور الشَّيْطان وتعدَّدت أشكاله ف " وعد الله قاطع في أنَّ الشَّيْطان لن يبلغ بهذه الوسيلة ما يريد في الجماعة الآمنة ؛ لأنَّ الله حارسها وكالئها ، وهو شاهد حاضر في كل مناجاة ، وعالم بما يدور فيها من كيد ودسٍّ وتآمر.ولن يضرَّ الشَّيْطان المؤمنين إلا بإذن الله،وهو استثناء تحفظي لتقرير طلاقة المشيئة في كل موطن من مواطن الوعد والجزم،لتبقى المشيئة حرَّة وراء الوعد والجزم[3] " .

فليعلم الشَّيْطان أن قلوب هؤلاء المؤمنين الصَّالحين معلَّقة بربِّ الأرض والسماء ، فهم في حصن حصين من حيله وخداعه, " فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنَّصر على الأعداء ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[4] ، فأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، مهما تناجوا ومكروا ، فإن ضرر ذلك عائد إلى أنفسهم ، ولا يضر المؤمنين إلا شيء قدَّره الله وقضاه ، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي : ليعتمدوا عليه ويثقوا بوعده ، فإنَّ مَنْ توكَّل على الله كفاه ، وتولَّى أمر دينه ودنياه[5] " .

وقد تتَّجه الآية إلى التحذير والتأديب من تحويل هذه الصِّفة الذميمة التي استعبد بها الشَّيْطان قلوب الكافرين والمنافقين إلى قلوب عباده الصَّالحين ، حيث " قال الله مؤدِّبًا عباده

(1) تيسير الكريم الرَّحمن ص846 .
(2) التحرير والتنوير 34/28 ، 36 .
(3) في ظلال القرآن 3511/6 .
(4) فاطر من الآية 43 .
(5) تيسير الكريم الرَّحمن ص846 .

المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾[1] أي : كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مَالأهم على ضلالهم من المنافقين[2]"

ولكن كان لابن زيد رأي آخر ، حيث قال : " كان الرَّجل يأتي رسول الله – ﷺ – يسأل الحاجة ليرى الناس أنَّه قد ناجي رسول الله – ﷺ – قال : وكان النبي – ﷺ –لا يمنع ذلك من أحد ، قال : والأرض يومئذ حرب على أهل هذه البلد ، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم : إنَّما يتناجون في أمور قد حضرت وجموع قد جمعت لكم وأشياء ، فقال الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3]".

فالنَّجْوى إذًا ناتجة من مكر الشيطان وخداعه ، أو قل تسويل الشيطان وتزيينه[4] .

فليستدع الشيطان حزبه وجنوده ، وليصوِّر لهؤلاء المؤمنين المخلصين ما شاء من حيله ومكره وخداعه ، فكلُّ ذلك عائد على نفسه وأوليائه ، وتدبيره ينقلب حتمًا إلى تدميره ، فقد أصيب بالعقم ، ولن يلد العقيم إلا بأمر ربِّه ، فعالم الصَّالحين ضربات القلب تنبض فيه بالإيمان واليقين ، وحياة الرُّوح تحيا فيه في مقام أمين ، فهم المحسنون الذين اتَّبعوا السَّابقين الأولين فرضي الله عنهم وأرضاهم كما قال ربُّنا – ﷻ – : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[5]
.

(1) المجادلة الآية 9 .

(2) تفسير القرآن العظيم 8/44 .

(3) جامع البيان 13/242 .

(4) تفسير القرآن العظيم 8/44 .وينظر: الجامع لأحكام القرآن 17/295، ومعالم التنزيل 8/56 .

(5) التوبة من الآية 100 .

الرِّسَالة الرَّابعة : لغة الشَّيْطان مع الخارجين عن حدود الله

عنوان هذه الرِّسَالة يتعامل مع فئة الخارجين عن حدود الله من اليهود والنَّصارى والعصاة من المسلمين ، حيث صال الشَّيْطان وجال معهم حتى تمكَّن من قلوبهم وسيطر عليها ، فلم تبد إعراضًا أو اعتراضًا.

وقد درَّس الشَّيْطان لهذه الفئة برنامجًا يضمُّ كثيرًا من الدَّورات المختلفة , ووضع لهم كثيرًا من المناهج المتعددة والمتجدِّدة ، مع تنوُّع في الأساليب وبراعة في التصوير حتى أوهمهم أن الحقَّ على أيديهم والنصرة في اتِّباعهم ، وأن سبيلهم هو سبيل الهدى ، وهديهم هدي الحقِّ , وأما غيرهم فهو على الباطل وإن تصوَّر أنَّه على الحَقِّ ، فـ ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقد أقسم الشَّيْطان في حواره مع ربِّه – ﷻ – بأنَّ له في بني آدم نصيبًا مفروضًا , ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[2] ، وهؤلاء هم نصيبه ، يعرض عليهم سُبُله وينمِّيها في قلوبهم ، ويتعهَّد أوان حصادها فتثمر عقولا ضالَّة ، وقلوبًا ميِّتة قد أضلَّتها الشَّهوات ، وطغت عليها المـاديَّات فانقادت لعالم الضياع والفساد، وضلَّت عن عالم الهدى والرَّشَاد .

وقد علم الشَّيْطان بأهواء هؤلاء وحقيقة منطقهم ففرض سيطرته وهيمنته عليهم ، فألَّف مجلَّدات منوَّعة في امتلاك قلوبهم وتوجيه نواصيهم ، فدوَّن في جميع صفحاتها ، وسطَّر في كل سطر منها سبيلا من سُبُله ، فتعدَّدت الأشكال واختلفت الألوان ، والصفحات الآتية تبيِّن حقيقة ذلك .

الصُّورة الأولى : سبيل الأزِّ (أ ز ز)

عن طريق الهمس الخفي والخطرات الدَّنيئة والوسوسة التي تعتلج في الصدور ينفذ الشَّيْطان إلى قلب بني آدم ، ويسيطر على حركاته وسكناته ، ولكنَّه في هذا السَّبيل يدفعه إلى طريق الباطل دفعًا ، ويمنعه من قبول الحق بطرًا ورياء ، فتهيَّج مشاعره في طريق

(1) النمل من الآية 24 .

(2) النساء من الآية 118 .

الباطل ، وتَكَّسر على أبوابه كلُّ طرق النَّجاة ، فيصبح بينه وبين الإيمان سدًّا،وكذلك بينه وبين قبول شرع الله في الأرض حجابًا مستورًا .

وهذا هو سبيل الكافرين الذين اخترقت سهام الشَّيَاطين قلوبهم فسكنت فيها واطمأنَّت ، حتى خرَّبت ودمَّرت وأماتت فيها كل سُبُل الهداية فتركتها سوداء لم يسطع نور الحق فيها .

وسبيل (الأزِّ) هو عنوان هذه الصُّورة التي يقول فيها ربُّنا - ﷻ -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[1] .

فالأزُّ هو : التهييج والإغراء[2] ، وأزَّه يؤزُّه أزًّا : أغراه وهيَّجه، وأزَّه : حثَّه ، وأزَّه أزًّا وأزيزًا مثل هزَّه ، وأزَّ يؤزُّ أزًّا :وهو الحركة الشَّديدة ، وأزَّت القدر تؤُزّ أزًّا : إذا اشتدَّ غليانها، وقيل:هو غليان ليس بالشَّديد[3] .

وأما أزُّ الشَّيَاطين الكافرين في الآية فهي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها[4] ، فأزَّه الشَّيْطان : هيَّجه بالوسوسة والإغراء على الكفر والعناد والعصيان[5] .

وفي هذه الدَّلالة إشارة إلى عدم استقرار حياتهم وعدم اطمئنان قلوبهم ، والفوضى الدَّاخلية التي يعيشون فيها ، فلا هدف ولا غاية ، ولكنَّك تجد قلوبًا حيارى بلا عنوان ولا دليل ف " الأزُّ : الهزُّ والاستفزاز الباطني ، مأخوذ من أزيز القدر : إذا اشتدَّ غليانها . شَبَّه اضطراب عقائدهم وتناقض أقوالهم واختلاف أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون ، فهو استعارة فتأكيده بالمصدر ترشيح[6] " .

فالرسول - ﷺ - قد دعا قومه إلي توحيد الله سبحانه وتعالي ونبذ عبادة الأوثان ، ولكن الشَّيَاطين من وراءهم وفي قلوبهم تدفعهم إلي رفض الحَقِّ وقبول الباطل ، فاتَّجهوا نحو قبلة الشَّيْطان ، أينما حَلُّوا أو ارتحلوا ، ورفضوا شريعة الرَّحمن سبحانه وتعالي ، " وهذا من عقوبة

---

(1) مريم الآية 83 .

(2) الصحاح 864/3 .

(3) لسان العرب 72/1 .

(4) معاني القرآن للفراء 172/2 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 345/3 .

(5) القاموس القويم 18/1 . وينظر : المفردات ص 18 .

(6) التحرير والتنوير 165/16 .

الكافرين أنَّهم لما لم يعتصموا بالله، ولم يتمسَّكوا بحبل الله ، بل أشركوا به ووالوا أعداءه من الشَّيْاطين سلَّطهم عليهم ، وقيَّضهم لهم ، فجعلت الشَّيَاطين تؤزُّهم إلي المعاصي أزًّا، وتزعجهم إلي الكفر إزعاجًا ، يوسوسون لهم ، ويوحون إليهم ، ويُزَيِّنون لهم الباطل ، ويقبِّحون لهم الحقَّ ، فيدخل حبُّ الباطل في قلوبهم ويتشرَّبها ، فيسعى فيه سعي المحقِّ في حقِّه ، فينصره بجهده ويحارب عنه ، ويجاهد أهل الحَقِّ في سبيل الباطل ، وهذا كله ، جزاء له على تولِّيه من وليه وتولِّيه لعدوه ، جعل له عليه سلطان ، وإلا فلو آمن بالله ، وتوكَّل عليه ، لم يكن له عليه سلطان ، كما قال تعالي : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾[1] ".

فكأنَّ هذه الآية تُجَسِّد ملامح قصَّة تبدو فيها شخصية الرسول - ﷺ - في دعوته كُفَّار مكَّة إلي عبادة الله وتوحيده ، ثم شخصية هؤلاء المستهزئين الذين رفضوا هذه الدعوة وأصَرُّوا علي رفضها ، ثم دور الشَّيْطان الذي دفعهم وحرَّضهم علي هذا الرَّفض ، وزيَّن لهم الباطل فظنُّوه حقًّا فاتَّبعوه ، وأخيرًا تسليط الله الشَّيَاطين عليهم تدفعهم إلى قبول الباطل وتحثُّهم عليه وتغريهم به فيتمكَّن في قلوبهم حتى طمست ورَان عليها فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة ، فـ" إرسال الشَّيَاطين عليهم : تسخيرهم لها وعدم انتفاعهم بالإرشاد النبوي المنقذ من حبائلهم ، وذلك لكفرهم وإعراضهم عن استماع مواعظ الوحي [2]".

فقد ألغي هؤلاء عقولهم ، وصمدوا بكل ألوان القُوَّة والعنف والشِّدَّة في وجه الدَّعوة المحمديَّة تلبية لنداء شياطينهم وحرصًا علي طاعتهم ، فتركهم الله لهم، توجِّههم حيث أرادوا دون ضابط من إيمان، أو نازع من ضمير يعزِّيهم على ما فقدوه من حلاوة الإيمان ، فأصبحوا والشَّيَاطين سواء ، تجمع بينهم الصداقة بكل ألوانها وأشكالها ، حيث " قال ابن زيد في قوله : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ فقرأ : ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[3]" .

---

(1) النحل الآيتان 99 ، 100. تيسير الكريم الرَّحمن ص 500 . وينظر : جامع البيان 253/18 ، ومعاني القرآن وإعرابه 345/3 ، 346 ، وتفسير مقاتل بن سليمان 322/2 .

(2) التحرير والتنوير 165/16

(3) الزخرف الآية 36 . جامع البيان 235/18 .

وهكذا تتَّضح صورة هؤلاء الذين رحلوا عن عالم الإيمان إلى عالم الكفر تدفعهم الشَّيَاطين إلى هذا العالم دفعًا بشتَّى الطُّرق والحِيَل دون حول منهم أوقوَّة ، بل هو الاستسلام المطلق دون قيد أوشرط ، فالنَّهْر عندما يتدفق ماؤه بغزارة يدفع كل شيء أمامه ، فهم كذلك يدفعون ويمنعون كل خير يصل إلى قلوبهم ، وذلك لسيطرة الشَّيَاطين عليهم ، فالباطل قد تمكَّن منهم وغزا أفئدتهم ، وأغلق جميع أبواب الرَّحمة في قلوبهم، فأصبح من المستحيل العودة لحظيرة الإيمان ، والتخلِّي عن سبيل الشَّيطان ، فالسِّبَاحة ضد التَّيار لا يرجى لصاحبها نجاة حتى تأتي كلمة الفصل ويغلق السِّتار فتشخص الأبصار ويظهر أمام أعينهم الحقيقة التي ظنُّوها خيالا،﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ . لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ[1]﴾ .

الصُّورة الثَّانية : سبيل التِّلاوة (ت ل و)

صور شتَّى من ألوان الزَّيف والضَّلال يعرضها الشَّيَاطين على بني آدم ، تتلوَّن كل صورة منها بلون ما ، فيتجسَّد الباطل في كلِّ عنوان، وتحيا في القلوب الذُنوب والآثام ، وعلى حسب دواعي الهوى يقع الاختيار ، فتسكن المعاصي القلوب قبل الدِّيار ، وأصحاب القلوب الضَّعيفة هم الذين تحكمهم الأهواء ، وتتحكَّم فيهم الشَّهوات ، فيحقِّقُ الشَّيْطان من خلالهم بغيته ، وتستقرُّ عندهم إقامته ، فيصبح أميرًا متوَّجًا في ديارهم ، له عليهم حقُّ السَّمع والطَّاعة ، فيزهو بنفسه ، وتتَّعالى صيحات كبريائه أن أقام في الأرض جسرًا يعبر به إلى قلوبهم ، وسبيلا لسلب عقولهم ، وحجبها عن الهدى والخير والرَّشاد .

والصُّورة التي يتلوَّن بها الشَّيَاطين في هذا السَّبيل تحمل هوى الإدعاء ، وإلباس الباطل لباس الحقِّ حتى يتخيَّل الرائي أنَّها حقيقة ، ولكنَّها وهم وخداع تؤدِّيها لفظة (تتلو) التي نسبت إليها في قوله-ﷻ- ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾[2] .

(1) المؤمنون الآيتان : 99 ، 100 .

(2) البقرة من الآية 102 .

والتِّلاوة تحمل دَلالة القراءة ، حيث قيل ، تلَوْت القرآن تلاوة : قرأته ، وعمَّ به بعضهم كل كلام[1] .

والتِّلاوة في الآية تشير إلى ما تقرأ الشَّياطين من الباطل على عهد سليمان – عليه السلام –[2] .

واستعمل القرآن الكريم لفظ (تتلو) لما كان يزعم الشَّيْطان أن ما يتلونه من كتب الله[3].

"والذي كانت الشَّيْاطين تلته في ملك سليمان كتاب من السِّحْر ، فَلِبَهَتِ اليهود وكذبهم ادَّعَوْا أن هذا السِّحر أخذوه عن سليمان ، وأنَّه اسم الله الأعظم ، يتكسَّبون بذلك ، فأعلم الله – عز وجل – أنَّهم رفضوا كتابه واتبعوا السِّحر ، ومعنى على (مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ) على عهد ملك سليمان عليهم ، فبرَّأ الله – عز وجل – سليمان من السِّحر ، وأظهر محمدًا – صلى الله عليه وسلم – على كذبهم ، وقال : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ) لأنَّ الله جعل الإتيان من سليمان بالسحر كفر فبرَّأه منه ، وأعلم أنَّ الشَّياطين كفروا فقال:(وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ) (يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ)[4]".

فخطاب الاتِّبَاع في الآية موجَّه إلى هؤلاء " الفريق من أحبار اليهود وعلمائها ، الذين وصفهم الله – عز وجل – بأنَّهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى ، وراء ظهورهم ، تجاهلا منهم وكفرًا بما هم به عالمون ، كأنَّهم لا يعلمون ، وأخبر عنهم أنَّهم رفضوا كتابه الذين يعلمون أنَّه منزَّل من عنده على نبيِّه – صلى الله عليه وسلم – ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السِّحر الذي تلته الشَّيَاطين في ملك سليمان بن داود فاتَّبعوه ، وذلك هو الخسران والضَّلال المبين[5]".

وقد خُدِعَت اليهود بما زيَّنت لها الشَّيَاطين ، حيث " إن طائفة من الشَّيَاطين كتبوا كتابًا فيه سحر ، فدفنوه في مصلَّى سليمان حين خرج من ملكه ، ووضعوه تحت كرسيه ، فلما توفي سليمان استخرجوا الكتاب ، فقالوا : إن سليمان تملككم بهذا الكتاب به كانت تجئ الرِّيح ، وبه سرت الشَّيَاطين ، فعلَّموه النَّاس[6] " .

---

(1) لسان العرب 1/444 .

(2) المفردات ص 100 .

(3) القاموس القويم 1/101 . وينظر: الجامع لأحكام القرآن 2/41 .

(4) معاني القرآن وإعرابه 1/183 .

(5) جامع البيان 2/405 .

(6) تفسير مقاتل بن سليمان 1/67 .

وهذا الادِّعاء الذي صرَّحت به اليهود لم يكن تصديقًا لحقيقة وإيمانًا بها ، وإنَّما كان اتباعًا لهوى قذفه الشَّيْطان في قلوبهم فآمنوا به وصدَّقوه ، وهم يعلمون كذبه وافتراءه ، فـ " أبرأ الله - ﷻ - منه سليمان ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، فتركت اليهود كتاب الأنبياء واتَّبعوا ما قالت من السِّحر ، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ أي واتَّبعوا ما أنزل على الملكين ، يعني هاروت وماروت ، وكانا من الملائكة مكانهما في السَّماء واحد[1] ".

فاليهود إذًا قد اعتقدوا في باطلهم فظنُّوه عقيدة ؛ وذلك لأنَّه يتوافق مع أهوائهم وشهوات قلوبهم ، فلسانهم ينطق بالباطل ، وأشدُّ من ذلك قلوبهم ، ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[2] .

فـ " لقد تركوا ما أنزل الله مُصَدِّقًا لما معهم ، وراحوا يتتبَّعون ما يقصُّه الشَّيَاطين عن عهد سليمان ، وما يضلُّلون به النَّاس من دعاوى مكذوبة عن سليمان ، إذ يقولون إنَّه كان ساحرًا ، وإنَّه سخَّر ما سخَّر عن طريق السِّحر الذي كان يعلمه ويستخدمه[3] " .

وهذا كله كذب وافتراء، وضلال وإثم مبين ، فقد يكذب المرء على نفسه وعلى غيره في أمر من أمور الدُّنيا حتى يصل إلى تحقيق هدفه فيقع في مخالفة،ولكن كيف يكذب في دينه وعقيدته ، فيدبِّر المؤمرات ويرسل الاتهامات جزافًا بلا بيِّنة ولا دليل وكأنَّه عاشق مولع بها؟.

إنَّ هذا كله من اتِّباع سحر الشَّيَاطين وما تقذفه في قلوب أوليائها المخلصين ، ولكن تلك هي البداية التي تمهِّد للنِّهاية ، والنِّهاية كما قال ربُّنا - ﷻ - : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

الصُّورة الثَّالثة : سبيل التَّخَبُط (خ ب ط)

تسيطر شهوة المال على كثير من البشر ، يرتعون في أنهاره وخيراته ، بين حدائقه وأزهاره

(1) السابق 1/67 ، 68 .
(2) آل عمران من الآية 118 .
(3) في ظلال القرآن 1/95 .
(4) البقرة من الآية 102 .

، تسفر وجوههم إشراقًا ، وقلوبهم نورًا وضياء عند رؤيته ، وكلَّما امتدَّ بهم العمر زادت شهوته ، يتسابقون في جمعه ومحبته ، وتذل قلوبهم لهواه ولا تنحني إلا له ، عظيم بينهم ، له كلمته التي لا تردُّ ، وسلطانه الذي لا يقهر ، حرامه وحلاله سواء ، ولكن لا يهنأ لهم بال ، ولا تستقر لهم معيشة ، قد يهدمون القواعد ، ويزيِّفُون الحقائق ، ويظنُّون أنَّهم على الحَقِّ مع علمهم أنَّهم على الباطل ، فباطلهم يتوافق مع أهوائهم فيبتدعون وكأنهم يتَّبعون ، حيارى في الأرض لا يدرون أعلى هدى أم على ضلال ؟ ، لحومهم نبتت من حرام ، يعيشون في قلق واضطراب ، يتساقطون في مهاوي الغيِّ والضَّلال ، إنَّهم أكلة الرِّبا الذين يتخبَّطهم الشَّيْطان من المسِّ .

فـ (التَّخَبُط) هو سبيل الشَّيْطان في هذه الصُّورة،والذي يوحي بدلالة القلق والاضطراب والسير على غير هدى وبصيرة ، حيث قيل : خبَطه يَخْبطه خَبْطًا : ضربه ضربًا شديدًا ، وخبط البعير بيده يَخْبِط خَبْطًا : ضرب الأرض بها[1] .

والخَبْط : الضرب في الأرض على غير هدى ، وتخبَّطه : جعله يَخْبط نفسه فيما حوله يمينًا وشمالا ، أو أوقعه في الاضطراب الشديد[2].

فالتخبُّط مطاوع خَبَطه : إذا ضربه ضربًا شديدًا فاضطرب له ، أي تحرَّك تحركًا شديدًا . ولما كان من لازم هذا التحرُّك عدم الاتساق، أطلق التخبُّط على اضطراب الإنسان من غير اتِّساق[3] .

ومن صور التَّخَبُّط التي تُدَمِّر القلوب وتذهب العقول هذا العبث الذي ذهب إليه العصاة المُدَّعين الذين خَيَّل لهم شيطانهم ، ووسوس إليهم ، ونفخ في صدورهم فامتلأت به أجسادهم قيحًا وصديدًا ما زعموه بقولهم إنَّما البيع مثل الرِّبا كما حدَّثَتْنَا آية في القرآن الكريم يقول فيها ربُّنا – ﷻ – : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[4] .

---

(1) لسان العرب 1093/2 .

(2) القاموس القويم 186/1 . وينظر : المفردات ص 204 .

(3) التحرير والتنوير 82/3 .

(4) البقرة من الآية 275 .

ولكن بئست المقارنة ، كيف يرتدي الباطل ثوب الحَقِّ ، والشَّوهاء زينة الحسناء ، فما أصاب هؤلاء من قلق واضطراب وحيرة وضلال كاد أن يودي بهم إلى الجنون أصبح سمة يعرفون بها على رءوس الخلائق ، وما كان ذلك إلا نتيجة لهذه الادِّعاءات الشَّيْطانية والتخريفات الشَّهْوانية .

كيف يقارن الخبيث بالطَّيب ، والحلال بالحرام ، وهدوء البال بوخز الضمير ، واستقرار النفس بحيرتها ، وطيِّب المطعم والمشرب بخبيثه ، فما أصاب هؤلاء بزعمهم إلا الجنون ، وما جنت عليهم أفكارهم إلا الوبال والخسران ، فـ " الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون ، من حال جنونه[1] " .

إذًا فـ " الذي يتخبَّطه الشَّيْطان هو المجنون الذي أصابه الصَّرَع، فيضطرب به اضطرابات ، ويسقط على الأرض إذا أراد القيام[2] " .

فهذا اللفظ القرآني الوحيد الاستعمال يصوِّر ويجسِّد هذه الحالة وكأنَّها صورة حيَّة مشاهدة أمام الجميع ، فالشَّيْطان " يضربه بشدَّة في كل ناحية ، وهو تصوير لحالة القلق والاضطراب دُنْيا وأُخرى بسبب تعامله بالرِّبا[3] " .

وقد جعل الله – ﷻ – " هذه العلامة لأكلة الرِّبا ، وذلك أنَّه أرباه في بطونهم فأثقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون ، ويقال : إنَّهم يبعثون يوم القيامة قد انتفجت بطونهم كالحبالى ، وكلَّما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم . وقال بعض العلماء : إنَّما ذلك شعار لهم يعرفون به يوم القيامة ، ثم العذاب من وراء ذلك [4] " .

إنَّها صورة كريهة تأباها النفوس وتقشعر منها الأبدان ، لا أدري كيف يسعد آكل الربا بتلك الغنيمة التي اقتنسها بغير وجه حق، واغتصبها دون عناء أو جهد ؟ .

فكأنَّ السعادة عندهم في ضرب قواعد الدين وهدمه ، والسير على نهج الشَّيْطان ودربه ، فتقلُّبات الحياة لم تؤثِّر فيهم ، ولم تكن لها سلطان عليهم ولم تخالط شغاف قلوبهم ، لذلك بشَّرهم ربهم بقوله : ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[5] .

---

(1) معاني القرآن وإعرابه 358/1 .
(2) التحرير والتنوير 82/3 .
(3) القاموس القويم 86/1 .
(4) الجامع لأحكام القرآن 354/2 0 وينظر : جامع البيان 8/6 ،ومعاني القرآن وإعرابه 358/1.
(5) البقرة من الآية 279 .

الصُّورة الرَّابعة : سبيل الدَّعوة (د ع و)

كلَّما أمكن عرض السلعة بطريقة جيِّدة عن طريق تزيينها وتجميلها ، ثم توفير وسائل الدِّعاية المناسبة لها كلَّما كانت إلى القلوب أقرب , وإلى القبول أولى وأفضل .

والشَّيْطان في هذا المقام يعرض بضاعته في صورة بديعة ، تخدع الأبصار ، وتلفت الأنظار وكأنَّها عنوان ورمز لأرقى معاني الوفاء والصِّدق والإخلاص ، تتحلَّى بمظاهر الحسن والجمال ، ولكنها قبيحة المخبر والجوهر ، تشبه حال المنافقين الذين تتراءى صورهم وأجسادهم أمام البشر وكأنهم يسبحون في عالم ملائكي ، ولكن الحقيقة أنَّهم والشَّيَاطين يسبحون في عالم الحقد والحسد ، ويأكلون من وعاء واحد ، قلوبهم تغلي غليان القدر رفضًا لمنهج الله ، وشهوة لاتِّباع الهوى ، فصورهم تحمل في ظاهرها جمال الأولياء ، ولكنها تخفي في باطنها طابع الأشقياء الذين صبغت قلوبهم بصبغة الفساد ، واشتاقت إلى عالم الباطل والضَّلال .

وهاهو الشَّيْطان يقدِّم في هذا السَّبيل دعوة صريحة لأوليائه موجزها اتِّباع طريق الآباء من الغيِّ والفساد ، ورفض دعوة الله – عز وجل – من الهدى والصَّلاح .

وهذه الآية الكريمة شاهدة على هذه الدَّعوة ، والتي يقول فيها ربُّنا – عز وجل – : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1] .

والدَّعوة – بفتح الدال – في لغة العرب : ما دَعَوْت إليه من طعام أو شراب[2]، ولكن دعوة الشَّيَاطين لأوليائه في الآية الكريمة تحمل بين طياتها طابع إحياء سُنَّة الآباء من قبل دون سند من إيمان أو يقين، فواجبهم المقدس أن يسيرون على دربها الآن ظنًّا منهم أن تلك الأفكار تحملهم إلى سفينة النَّجاة .

فهؤلاء الأشقياء من بني آدم يزيِّن لهم الشَّيْطان الباطل ويدعوهم إليه ويرغِّبهم فيه زعمًا منه بأنَّه دين آبائهم ، فالأمجاد لن تتحقَّق إلا باتِّباعهم والسير على نهجهم .

---

(1) لقمان الآية 21 .

(2) لسان العرب 1387/2 .

" وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله : اتَّبِعوا أيُّها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصَدِّقوا به ، فإنَّه يفرِّق بين المُحِق منا والمُبطل ، ويفصل بين الضالِّ والمهتدي ، فقالوا : بل نتَّبع ما وجدنا عليه آبائنا من الأديان ، فإنَّهم كانوا أهل حقٍّ . قال الله تعالى ذكره : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتِّباعهم إياه على ضلالتهم ، وكفرهم بالله وتركهم اتِّباع ما أنزل الله من كتاب على نبيِّه ﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ يعني : عذاب النَّار التي تتسعَّر وتلتهب[1] " .

وهذا قياس عجيب وغريب " أيتَّبِعون آباءهم ولو كان الشَّيْطان يدعو الآباء إلى العذاب فهم يتَّبعونهم إلى العذاب ولا يهتدون ... والاستفهام تعجيبي من فظاعة ضلالهم وعماهم بحيث يتَّبعون من يدعوهم إلى النَّار، وهذا ذمٌ لهم[2] " .

فهذه الفكرة التي أثارها الشَّيْطان في قلوبهم وزَيَّنها لهم , فأيقظها من غفلتها بعد ثبات عميق ظنًّا منهم أن نصرة الحقِّ على أيديهم، وإقامة الدِّين على أكتافهم ، وذلك لا يكون ولا يتحقَّق إلا باتِّباع منهج الآباء ، فانطلقوا يهتفون بها وتتعالى صرخاتهم مع أن الضَّلال عنوانها ، وجوهرها عذاب تصطلي به أفئدتهم التي لا تعي ولا تعدُّ للسؤال جوابًا ، وكذلك أجسادهم التي تحمَّلتهم في الدُّنيا وصبرت عليهم ، ولكنها ضاقت بهم ويئست من إصلاحهم ، وفي الآخرة تلعنهم جزاء ماقدَّموها قربانًا إلى النَّار .

" فهذا هو سندهم الوحيد ، وهذا هو دليلهم العجيب ! التَّقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم علي علم ولا يعتمد على تفكير ، التَّقليد الذي يريد الإسلام أن يحرِّرهم منه ؛ وأن يطلق عقولهم لتتدبَّر ؛ ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور ، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف ، ويتمسَّكوا بالأغلال والقيود . إنَّ الإسلام حريَّة في الضَّمير ، وحركة في الشُّعور ، وتطلُّع إلى النُّور ، ومنهج جديد للحياة طليق من إسار التَّقليد والجمود ، ومع ذلك كان يأباه ذلك الفريق من النَّاس ، ويدفعون عن أرواحهم هداه ، ويجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ومن ثم يسخر منهم ويتهكَّم عليهم ، ويشير من طرف خفي إلى عاقبة هذا الموقف المريب[3] " .

---

(1) جامع البيان 149/20 . وينظر : معالم التنزيل 649/1 ، وفتح القدير 241/4 ، 242 .
(2) التحرير والتنوير 176/21 .
(3) في ظلال القرآن 2793/5 .

إذًا فقد دعا الشَّيْطان أولياءه إلى مأدبة آبائهم وإلى اتِّباع دينهم ومنهجهم مكرًا منه وخداعًا فقبلوا دعوته وفتحوا أيديهم واستبشروا ، وظنُّوا أن الحقَّ ظاهر على أيديهم ، وبهم الرَّاية تعلو خفاقة تكاد أن تعانق السَّماء ، وبكل ودٍّ ومحبة رحَّبوا به ضيفًا عزيزًا في قلوبهم ، فانهارت الحقائق على أيديهم ، وطمست معالم المعرفة أمام أعينهم ، فما ظنُّوه عمارًا وثمارًا رأوه خرابًا ودمارًا ، فـ " ليست دعوة الشَّيْطان لآبائهم ولهم محبة لهم ومودة ، وإنَّما ذلك عداوة لهم ومكر بهم ، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه ، الذين تمكَّن منهم وظفر بهم ، وقرَّت عينه باستخفافهم عذاب السَّعير ، بقبول دعوته[1] " .

فليعلم كُلُّ ذي لبٍّ أن منهج الله يشرق في سماء كل قلب يريد أن يحيا حياة الصَّالحين ، ويعيش عيش الآمنين دون جزع أو سخط أو خوف من ماض أو حاضر أو مستقبل لا يدري ما الله مقدِّر فيه ، ولكن حياة الآباء والأجداد وما فيها من نزعة جاهلية دون اعتماد على قواعد التَّشريع فهي صرخة في فلاة ، ورمية بدون رام ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2] .

الصُّورة الخامسة : سبيل الزِّينة (ز ي ن)

يخدع الإنسان نفسه ولا يدري أنَّ شيطانه يسيطر عليه ، وإن كان يدري فالمصيبة أعظم ، يخيِّل إليه أنَّه يعيش في حقيقة وواقع ، مع أنَّه يعيش في وهم وسراب .

يقدِّم الشَّيْطان لأوليائه المتَّبِعين لنهجه السائرين على دربه هديَّة من طراز خاص ، وكأنَّها من عالم الخيال ، مزركشة الألوان ، عالية الجودة والإتقان ، في ثوب جميل يبدو في غاية الإبداع ، ولكنَّه يخدع بها أصحاب النُّفُوس الضَّعيفة ، وذلك بعرضها في غلاف العِزَّة والكرامة مع أنَّها تحمل في طياتها لباس الذِّلة والمسكنة لغير الله سبحانه وتعالى.

فالمسلم قد ينخدع لبعض الوقت بتلك الألوان المختلفة من الزِّينة والجمال الوهمي ، وذلك بقراءة بعض الصَّفحات من كتاب الشَّيْطان ، ولكنَّه ينتبه ويعود إلى ربِّه ورُشْده سريعًا

(1) تيسير الكريم الرَّحمن ص649 .

(2) المائدة الآية 104 .

؛ لأنَّه يعلم أنَّ هذا إنَّما هو لون من ألوان قسم الشَّيْطان : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾(1) .

وأما الكافر فيظلُّ في هيام مع شيطانه ، ينتقل به من صفحة إلى أخرى ، حيث يقلِّب معه الشَّيْطان جميع الصَّفحات كيفما شاء حتى ينتهي به إلى نهاية صفحة الحياة .

وسبيل الشَّيْطان الذي يتلوَّن به في هذه الصورة هو (الزِّينة) ، وهي اسم جامع لكل شيء يُتَزَيَّن به (2) .

وقد تكون الزِّينة حقيقيَّة ، وقد تكون وهمًا وخيالا ، فـ " الزِّينة الحقيقيَّة : مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله ... لا في الدُّنيا ولا في الآخرة ، فأمَّا ما يزينه في حالة دون حالة فهو من وجه شين ، والزِّينة بالقول المجمل ثلاث : زينة نفسيَّة كالعلم والاعتقادات الحسنة ، وزينة بدنيَّة : كالقوَّة وطول القامة ، وزينة خارجية : كالمال والجاه ، فقوله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمۡ ﴾(3) فهو من الزِّينة النفسيَّة ، وقوله : ﴿ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾(4) فقد حمل على الزِّينة الخارجيَّة ... يقال : زانه كذا وكذا وزيَّنه : إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول ... وتزيين الله للأشياء قد يكون بإبداعها مزيَّنة وإيجادها كذلك ، وتزيين النَّاس للشيء يكون بتزويقهم أو بقولهم ، وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يرفع منه(5) ".

وقد ارتبطت (الزِّينة) بالشَّيْطان في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، والخطاب يأتي فيها جميعًا لهؤلاء الذين كذَّبوا بآيات الله وصدُّوا عنها ، أربعة منها إلى تلك الأمم الذين كذَّبوا رسلهم قبل بعثة النبي – ﷺ – ، والخامسة موجَّهة إلى مشركي مكَّة ، وخاصَّة أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر .

فالآية الأولى والثانية خطاب للمكذِّبين برسل الله عامَّة قبل بعثة النبي محمد – ﷺ – ،

---

(1) الحجر الآيتان 39 ، 40 .

(2) لسان العرب 3/1903 .

(3) الحجرات من الآية 7 .

(4) الأعراف من الآية 32 .

(5) المفردات ص319 ، 320 .

وتزيين الشَّيْطان لهم أعمالهم ، وذلك بعرضها في أبهى صورها حتى يخدعوا بها ، حيث " أغواهم بالمعاصي وحملهم عليها[1]"، في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

" فهؤلاء لم يلجأوا إلى الله ، ولم يرجعوا عن عنادهم ، ولم ترد إليهم الشِّدَّة وعيهم ، ولم تفتح بصيرتهم ، ولم تلين قلوبهم ، وكان الشَّيْطان من وراءهم يزيِّن لهم ما هم فيه من الضَّلال والعناد [3] " .

وكذلك زيَّن لهم " أعمالهم الخبيثة[4] " فجمَّلها في أعينهم فقبلوها واستقرَّت في أنفسهم ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] .

وفي الآيتين عرض لحال الأمم السالفة ، وخاصَّة من ضلَّ منهم عن طريق الحقِّ واتَّبَع هواه ، بل قل هوى الشَّيْطان ، وفي ذلك ذكرى لأولى الألباب .

فلا تحزن يا خير خلق الله على ضلال قومك ، " فإنَّ القوم ليسوا أول من انحرف ، وليسوا أول من جدف ، فقد كان قبلهم منحرفون ومنجدفون ، أغواهم الشَّيْطان ، وزيَّن لهم ما انحرفوا إليه من تصوُّرات وأعمال، فصار وليُّهم الذي يشرف عليهم ويصرفهم[6] ".

ف " تزيين الشَّيْطان أعمالهم كناية عن المعاصي ، فمن ذلك عدم الإيمان بالرُّسُل وهو كمال التَّنظير . ومنها الابتداعات المنافية لما جاءت به الرُّسُل – عليهم السلام – مثل ابتداع المشركين البحيرة والسائبة ، والمقصود : أنَّ المشركين سلكوا مسلك من قبلهم من الأمم التي زيَّن لهم الشَّيْطان أعمالهم ... والمعنى : فالشَّيْطان وليُّ المشركين اليوم ، أي متولِّي أمرهم كما كان وليَّ الأمم من قبلهم إذ زيَّن لهم أعمالهم ، أي لا ولي لهم اليوم غيره ردًّا على زعمهم أنَّ لهم

(1) الجامع لأحكام القرآن 6/425 .

(2) الأنعام الآية 43 .

(3) في ظلال القرآن 2/1089 .

(4) الجامع لأحكام القرآن 14/473.

(5) النحل الآية 63 .

(6) في ظلال القرآن 4/2179 .

الحسنى ، ويكون في الكلام شبه الاحتباك ، والتقدير : لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيَّن لهم الشَّيْطان أعمالهم فكان وليَّهم حينئذ ، وهو وليُّ المشركين اليوم يُزَيِّن لهم أعمالهم كما كان وليَّ من قبلهم[1] " .

وأما الآية الثالثة فتتَّجه إلى ملكة سبأ ، والتي كانت تسجد وقومها للشَّمس من دون الله ف " ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي ما هم فيه من الكفر ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي عن طريق التَّوحيد[2] " ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[3] .

" وهنا يعلِّل ضلال القوم بأنَّ الشَّيْطان زيَّن لهم أعمالهم ، فأضلَّهم ، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير[4] " .

وأما الآية الرابعة فهي عنوان قوم عاد وثمود ، حيث " ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي عن طريق الحقِّ[5] " ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[6] .

" فقد كانت لهم عقول ، وكانت أمامهم دلائل الهدى ، ولكن الشَّيْطان استهواهم وزيَّن لهم أعمالهم ، وأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة ، وهي غرورهم بأنفسهم وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال ، وانخداعهم بما هم فيه من قوَّة ومال ومتاع ، ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الهدي الواحد المؤدِّي إلى الإيمان ، وضيَّع عليهم الفرصة ﴿ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ يملكون التَّبَصُّر، وفيهم مدارك ولهم عقول[7] ".

---

(1) التحرير والتنوير 194/14 ، 195 .
(2) الجامع لأحكام القرآن 168/19 .
(3) النمل الآيتان 23 ، 24 .
(4) في ظلال القرآن 2638/5 .
(5) الجامع لأحكام القرآن 306/20 .
(6) العنكبوت الآية 38 .
(7) في ظلال القرآن 2735/5 .

وأما مشركو مكَّة فهم عنوان الآية الخامسة التي يقول فيها ربُّنا - ﷻ - : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾[1] .

فزينة الشَّيْطان في هذه الآية يمكن أن تفسَّر من خلال وجهين ، حيث " روى أنَّ الشَّيْطان تمثَّل لهم يومئذ في صورة سُراقة بن مالك بن جعثم ، وهو من بني بكر بن كنانة ، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم ، لأنَّهم قتلوا رجلا منهم ، فلما تمَثَّل لهم قال ما أخبر الله عنه ، وقال الضَّحَّاك : جاءهم إبليس يوم بدر برايته وجنوده ، وألقى في قلوبهم أنَّهم لن يهزموا وهم يقاتلون على دين آبائهم[2] ... "

والخطاب لأبي جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير ، خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف [3] .

إذًا فقد " زيَّن الشَّيْطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته ، وقال لهم بما ألقاه في هواجسهم لا غالب لكم اليوم من النَّاس ، لا أتبَّاع محمد الضعفاء ولا غيرهم من قبائل العرب ، فأنتم أعزُّ نفرًا وأكثر نفيرًا وأعظم بأسًا [4] " .

ولكن ماذا كانت النَّتيجة عندما ﴿ تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5] .

ومن ثم فإنَّ الشَّيْطان يُزَيِّن الأعمال ويُجَمِّلُها في عيون وقلوب أوليائه من بني البشر ، ويبثها في وجدانهم على أنَّها حقائق تقرِّبهم من ربِّهم ، وتباعد بينهم وبين سعير جهنَّم ، مع أنَّ الواقع يشهد أنَّ هذا من باب تلبيس إبليس ، فعنوانه وإن كان ظاهره الرَّحمة ففي باطنه العذاب ، فزينة الباطل مزيفة باهتة الألوان ، تذوب معالمها وتتهاوى مع مرِّ الأيام، فيشقي قلب من يخدع بها ويظنُّ أنَّ فيها النَّجَاة، وأما زينة الحَقِّ فساطعة سطوع الإيمان في القلوب ،

(1) الأنفال من الآية 48 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 26/8 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 420/2 .

(3) الجامع لأحكام القرآن 25/8 .

(4) في ظلال القرآن 1531/3 .

(5) الأنفال من الآية 48 .

ومشرقة شروق الشَّمس في كبد السماء ، ثابتة الألوان لا يغيِّر الزَّمان أشكالها ، ولا تعاقب السنون جمالها، ففي أرض طيبة كان غراسها ، ومن ثمرات الإيمان كان قطافها ، فيسعد بها كل من اتَّبع سبيلها ، واقتفى آثارها ، ونأى عن غير هديها ، وفي ذلك عدَّة له وعتاد ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[1] .

الصُّورة السَّادسة : سبيل التَّسويل (س و ل)

وهبنا الله – ﷻ – نعمة العقل حتى نميِّز بين الأشياء – خبيثها وطيِّبها – ، ووضع لنا خطوطًا حمراء لا نتعدَّاها حتى لا نقع فيما حَرَّم علينا ، فإذا حكَّمنا شرع الله – ﷻ – هدانا الله للإيمان ووفَّقنا إليه ، فأرحنا عقولنا ، واستراحت ضمائرنا ، وإذا طغت علينا الشَّهوات ، وانحت جباهنا لغير الله غابت عقولنا عن الوعي ، وتجَّهزت قلوبنا للاحتضار فحكَّمنا جانب الهوى والشَّيْطان وكلنا الله لأنفسنا .

وإذا كان الصِّراع يحتدم بين الشَّيْطان والصَّالحين من عباد الله – ﷻ – ، ويزداد لهيبه وتتأجج نيرانه ، فتحدث حالة من قوَّة الدَّفع ونوازع الفطرة السويَّة والعقيدة الصَّحيحة ، فإنَّه في هذا المشهد ومع أوليائه في حالة استرخاء تام ، يخفي الحقائق ويظهر الأباطيل ويزيِّنها لهم فتبدو في صورة الحَقِّ ، وذلك عن طريق (التَّسويل) الذي يتوافق مع أصحاب النُّفُوس المريضة والقلوب الخاوية إلا من آمال الدنيا ونسيان الآخرة .

وقد ذكر ابن منظور أن " سَوَّلت له نفسه أمرًا : زيَّنته له ، ووسوس له الشَّيْطان : أغراه ... التَّسويل : تحسين الشيء وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله[2] "

وذكر الرَّاغب أن " التَّسويل : تزيين النفس لما تحرص عليه ، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن[3] " .

وأما ابن عاشور فقال عنه هو : " تسهيل الأمر الذي يستشعر منه صعوبة أو ضر وتزيين ما ليس بحسن " [4] .

---

(1) إبراهيم من الآية 42 ، والآية 43 .

(2) لسان العرب 2157/5 . وينظر : الصحاح 1733/5 .

(3) المفردات ص 363 . وينظر : القاموس القويم 337/1 .

(4) التحرير والتنوير 116/26 .

والذين سَوَّل لهم الشَّيْطان هم هؤلاء الذين قال الله – ﷻ – فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[1] .

وسوَّل لهم في الآية الكريمة بمعنى زيَّن لهم[2] ، والذين سَوَّل لهم الشَّيْطان في الآية الكريمة موضع اختلاف بين العلماء على وجهين:

الوجه الأول : اليهود

قال قتادة : إنَّها نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا من التَّوراة أمر محمد – ﷺ – وتبيَّن لهم الهدى بهذا الوجه ، فلمَّا باشروا أمره حسدوه فارتدُّوا عن ذلك القدر من الهدى [3] .

"وعن ابن جريج – ؓ – في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ قال : اليهود ارتدُّوا عن الهدي بعد أن عرفوا أنَّ محمدًا – ﷺ – نبي ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ قال : أملى الله لهم بأنَّهم قالوا للذين كرهوا ما نَزَّل الله قال : يهود تقول للمنافقين من أصحاب النبي – ﷺ – وكانوا يسرُّون إليهم إنَّا﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ وكان بعض الأمر أن يعلموا أن محمدًا نبيٌّ وقالوا : اليهودية الدِّين فكان المنافقون يطيعون اليهود بما أمرتهم ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ قال : سرُّ ذلك القول[4]" .

الوجه الثاني : المنافقون

وعن المنافقين الذين زَيَّن لهم الشَّيْطان اختلفت الآراء كما ذكر ابن عاشور :

الرأي الأول : يجوز أن يكون مرادًا به قوم من أهل النِّفاق كانوا قد آمنوا حقًّا ثم رجعوا إلى الكفر؛ لأنَّهم كانوا ضعفاء قليلي الاطمئنان، وهم الذين مثلهم الله في سورة البقرة بقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[5] ، والارتداد على أدبارهم على هذا الوجه : تمثيل للراجع إلى الكفر بعد الإيمان بحال من سار

(1) محمد الآية 25 .

(2) ينظر : مجاز القرآن 2/215 ، ومعاني القرآن للفراء 3/63 ، ومعاني القرآن وإعرابه 5/14 .

(3) المحرر الوجيز 15/71 ، 72 .

(4) الدر المنثور 7/503 .

(5) البقرة من الآية 17 .

ليصل إلى مكان ثم ارتدَّ في طريقه ... والهدى : الإيمان ، وتبيُّن الهدى لهم على هذا الوجه تبيُّن حقيقي لأنَّهم ما آمنوا إلا بعد أن تبيَّن لهم هدى الإيمان .

الرأي الثاني : يجوز أن يكون مرادًا به جميع المنافقين ، عبَّر عن تصميمهم على الكفر بعد مشاركتهم المسلمين في أحوالهم في مجلس النبي – ﷺ – والصَّلاة معه وسماع القرآن والمواعظ بالارتداد لأنَّه مفارقة لتلك الأحوال الطَّيِّبة ، أي رجعوا إلى أقوال الكفر وأعماله وذلك إذا خلوا إلى شياطينهم ، وتبيُّن الهدى على هذا الوجه كونه بيِّنًا في نفسه ، وهو بيِّن لهم لوضوح أدلته ولا غبار عليه ، فهذا التبيُّن من قبيل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾[1] أي ليس معه ما يوجب ريب المرتابين .

الرأي الثالث : يجوز أن يكون مرادًا به قومًا من المنافقين لم يقاتلوا مع المسلمين بعد أن علموا أن القتال حَقٌّ ، وهذا قول ابن عباس والضَّحَّاك والسَّدِّي ، وعليه فلعل المراد : الجماعة الذين انخزلوا يوم أحد مع عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول ، والارتداد علي هذا الوجه حقيقة لأنهم رجعوا عن موقع القتال بعد أن نزلوا به فرجعوا إلي المدينة وكانت المدينة خلفهم ، وهذا عندي أظهر الوجهين وأليق به بعد ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ إلي قوله ﴿ وأدبارهم ﴾ ، والهدى علي هذا الوجه هو الحَقُّ ، أي من بعد ما علموا أن الحَقَّ قتال المشركين[2].

فلقد أملي الله لهؤلاء المنافقين وتركهم ، والشَّيطان سَوَّل لهم ، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنَّهم ﴿ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾ عن الأمر بقتال أهل الشرك من المنافقين ﴿ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى ، وأمر رسول الله – ﷺ –[3] .

إذًا فقد زيَّن الشَّيْطان لهؤلاء أوهؤلاء سوء صنيعهم وقبيح أفعالهم ، فجحدوا نبوَّة النبيِّ محمد – ﷺ – وكفروا به ، وأصغوا لهوى الشَّيْطان وما صوَّره لهم ، فمالت قلوبهم إلى اتِّباع الباطل ، وصَدَّت عن قبول الحَقِّ .

---

(1) البقرة من الآية 2 .

(2) التحرير والتنوير 115/26 ، 116.

(3) جامع البيان 218/21 ، 219 .

فعجبًا لتلك العقول التي أنارها الله بالإيمان فأسرى نور الحَقِّ فيها ، وبدت ملامحه وضوح العيان ، ولكن القلوب أبت إلا الكفر والضَّلال ، واتِّباع نهج الشَّيْطان ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾[1] .

الصُّورة السَّابعة : سبيل الضَّلال (ض ل ل)

يأتي الشَّيْطان لبني الإنسان في صورة النَّاصح الأمين ، يوهمهم بشتَّى الطرق ومختلف الصُّور أنَّهم على الحَقِّ وغيرهم على الباطل ، فيتحكَّم في عقولهم وتوجيه قلوبهم حتى يتحاكموا إليه في أمورهم ، وتحديد مصائر حياتهم وكأنَّه غدا عنوان دربهم وطريق هدايتهم ، فسبَّحوا بحمده وخضعوا له فكان المآل ضلال وصد عن سبيل الله وصراطه المستقيم .

والمنافقون من هؤلاء الذين ساروا على درب الشَّيْطان ابتغاء العِزَّة والسَّعَادة فرضوا بحكمه واستجابوا لدعوته في حين رفضوا حكم الله – ﷻ – وحادوا عن اتِّباع منهجه ، فتحققَّت فيهم إرادة الشَّيْطان ، فأصبح سلطانه عليهم أقوى من سلطانهم على أنفسهم فأذلَّهم الله في الدُّنيا والآخرة .

ومن خلال سبيل (الضَّلال) ظهر توجيه الشَّيْطان وإرادته لهذه الفئة الضالَّة ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

والضَّلال هو: " العدول عن الطَّريق المستقيم ، ويضاده الهداية ...ويقال الضَّلال لكل عدول عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا ، يسيرًا كان أو كثيرًا ؛ فإنَّ الطَّريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدًّا[3] " .

ويقال : " ضَلَّ الكافر : غاب عن الحجَّة المقنعة وعدل عن الطَّريق المستقيم ولم يعرف الحَقَّ [4] " .

---

(1) الطلاق الآية 9 .

(2) النساء الآية 60 .

(3) المفردات ص 440 .

(4) القاموس القويم 394/1 .

وإلى هؤلاء الذين عرفوا حكم الله ثم أعرضوا عنه يتَّجه الشَّيْطان بضلاله ومكره وخداعه ، فلم يتمكَّن الإيمان من قلوبهم ولم يذوقوا حلاوته ، بل اكتفى لسانهم بنطق الشهادتين ولكن الحقد على الإسلام وأهله هو أساس منهجهم ، وقاعدة انطلاقهم ، وعنوان سبيلهم ، وهؤلاء أشدُّ على المسلمين من أعدائهم ، وهم جماعة المنافقين .

" ويروي أن رجلا من المنافقين نازعه رجل من اليهود ، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم ، وقال المنافق بيني وبينك الكاهن ، فلم يرض اليهودي بالكاهن وصار إلى النبي – ﷺ – فحكم لليهودي على المنافق ، فقال المنافق : لا أرضي ، بيني وبينك أبو بكر ، فحكم أبو بكر أيضًا لليهودي ، فلم يرض المنافق ، وقال : بيني وبينك عمر فصار إلى عمر فأخبره اليهودي بأنَّ المنافق قد حكم عليه النبيُّ – ﷺ – وأبو بكر فلم يرض بحكمهما ،فقال عمر للمنافق: أكذاك ؟ قال : نعم ، فقال عمر اصبروا فإن لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج إليكما ، فدخل وأخذ سيفه وخرج إلى المنافق فضربه بالسيف حتى قتله ، فجاء أهله فشكوا عمر إلى النبي – ﷺ – فسأله عن قِصَّتَه فقال عمر : إنَّه ردَّ حكمك يا رسول الله ، فقال رسول الله : أنت الفاروق[1] " .

" وقيل بل الضَّلال في الآية يتَّجه إلى جماعة اليهود والمنافقين ، هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم صدَّقوا بما أنزل إليك من الكتاب[2] ، وإلى الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب[3] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ ﴾ في خصومتهم ﴿ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ يعني : إلى من يعظِّمونه ، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله ﴿وقد أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِ﴾ ... وقد أمرهم الله أن يكذِّبوا بما جاءهم من الطَّاغوت ، يعني أن الشَّيْطان يريد أن يصُدَّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطَّاغوت عن سبيل الحَقِّ والهدى ، فيضلهم عنها ضلالا بعيدًا ، يعني : فيجور بهم عنها جورًا شديدًا[4] " .

---

(1) معاني القرآن وإعرابه 69/2 . وقيل في سبب نزول الآية أقوال أخرى . ينظر: جامع البيان 507/8 ، 508 ، والمحرر الوجيز 161/4 ، 162 ، والتحرير والتنوير 102/5 : 104 .

(2) هم المنافقون ، وقيل هؤلاء المنافقون من اليهود أظهروا الإسلام . ينظر:المحرر الوجيز 161/4 ، والتحرير والتنوير 102/4 .

(3) هم اليهود . المحرر الوجيز 161/4 .

(4) جامع البيان 507/8 .

ولكن ماذا يريد الشَّيطان من هؤلاء ؟ ، " ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ : أي يحبُّ ذلك ويحسِّنه لهم ؛ لأنَّه ألقى في نفوسهم الدُّعاء إلى تحكيم الكهان والانصراف عن حكم الرَّسول ، أو المعنى : يريد أن يضلَّهم في المستقبل بسبب فعلتهم هذه لولا أن أيقظهم الله وتابوا مما صنعوا ، والضَّلال البعيد هو الكفر ، ووصفه بالبعيد مجاز في شدَّة الضَّلال بتنزيله منزله جنس ذي مسافة كان هذا الفرد منه بالغًا غاية المسافة ، قال الشاعر : ضيَّعت حزمي في إبعاده الأملا[1] " .

فعجبًا لمن ادَّعى الإسلام ثم يأبى تحكيم شريعة الرَّحمن ويتحاكم إلى الشَّيْطان ، " فكيف يجتمع هذا والإيمان ؟ فإنَّ الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور ، فمن زعم أنَّه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله ، فهو كاذب في ذلك . وهذا من إضلال الشَّيْطان إياهم ، ولهذا قال : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ عن الحَقِّ[2] " .

وقد أقسم الشَّيْطان على إضلال بني آدم كما حدَّثنا ربُّنا- ﷻ - في قرآنه الكريم : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾[3] أي : لأصرفَنَّهم عن طريق الهدي[4]، وهو الصِّرَاط المستقيم ضلالا في العلم ، وضلالا في العمل[5] .

وقد بَرَّ الشَّيْطان بقسمه عندما قبل هؤلاء المنافقون واليهود صفقته ورضيا به حكمًا ، وانحرفا عن منهج الله – ﷻ – وانصرفا عن درب الهدى والرَّشاد ، وحادا كلية عن قناة الحَقِّ الشَّرعيَّة فتبعوا إرادة الشَّيْطان وتركوا إرادة الرَّحمن سبحانه وتعالى،﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[6].

---

(1) التحرير والتنوير 105/5. وعجز البيت: وما ارعويت وشعبًا رأسي اشتعلا . شرح ابن عقيل . تحقيق . محمد محيي الدين عبد المجيد 294/2 –دار الفكر – دمشق 1985م .

(2) تيسير الكريم الرَّحمن ص184 .

(3) النساء من الآية 119 .

(4) الجامع لأحكام القرآن 389/5 .

(5) معالم التنزيل 203/1 .

(6) طه الآية 124 .

الصُّورة الثَّامنة : سبيل الاستهواء (هـ و ى)

بعض الناس يريد أن يعيش في حياته على هواه دون حدود أو قيود أو ضوابط ، فكلَّما حَدَّثته نفسه أو حدَّثه شيطانه بقبيح ما فعله، حتى ترك لنفسه العنان تفعل ما شاء ، وفي أي وقت تشاء ، فأصبح فعل المعاصي ديدنه وهواه ، وارتكاب الآثام هدفه ومبتغاه ، ولكن هل يسعد الإنسان بتلك الحريَّة المطلقة ؟ .

قد يتخيَّل الإنسان أو يخيِّل له شيطانه أنَّه قد يعيش سعيدًا في عالم الهوى ، وأن سُبُل السَّعادة فيه تركع أمام قدميه فلا تنفد فيه لذَّات الدُّنيا ونعيمها ، ولكنَّه لا يدري أن الهوى يمسك بمفتاح قلبه وتوجيه عقله فيصبح من السَّاجدين له المسبِّحين بحمده ، فلا يجد في قلبه سبيلا لمرضاة ربِّه وهدي نبيِّه محمد – ﷺ – فتمضي الحياة ، وتمضي معها كل سُبُل السَّعادة ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وعلى ذلك فالهوى غالبًا يكون سبيلا من سُبُل الشَّيْطان ؛ لأنَّه يقال : " ذلك للنَّفْس المائلة إلى الشَّهوة . وقيل : سُمِّي بذلك لأنَّه يهوي بصاحبه في الدُّنيا إلى كلِّ داهية [2] " .

ف " هَوِيه يهواه – من باب فَرِح – هَوىً : أَحَبَّه ، وأكثر مايستعمل في الباطل وفي الشَّهوات الضَّارَّة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[3] ، أي ما تهواه أنفسكم وما تشتهيه فيضلكم ذلك عن الحقِّ ... واستهواه من الهوى : بمعنى السُّقوط ؛ أي حمله على السُّقوط وجذبه إليه ، أو استهواه من الهوى ، وهو الميل والحبُّ ، أي جذبه لحبِّه وأغراه باتِّباعه[4] " .

والمعنيان محتملان في قوله – ﷻ – : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5] .

---

(1) القصص من الآية 50 .

(2) المفردات ص 796 .

(3) النساء من الآية 135 .

(4) القاموس القويم 310/2 ، 311 .

(5) الأنعام الآية 71 .

" فالشَّيَاطين جعلته يسقط في حبائلها أو جعلته يميل إلى الضَّلال ويُسْحَر به ويحبُّه فيسير مع الهوى بعيدًا عن الرأي والحكمة[1] " .

إذًا فاستهواء الشَّيَاطين في هذه الحالة قد يكون من باب السُّقوط في الهوى والذَّلل ، فاستهواه بمعنى أهواه مثل استزلَّ بمعنى أزلَّ[2] ، أي ذهبت بهواه وعقله[3]، فهو الحيران الذي يشبِّه له الشَّيَاطين فيتَّبِعها حتى يهوى في الأرض فيضل[4]، وقد يكون من قول القائل : هَوَى فلان إلى كذا يهوى إليه ، ومن قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[5] بمعنى تنزع إليهم وتريدهم[6] ، أو استغوته وزَيَّنت له هواه ودعته إليه ، يقال : هوى يهوى إلى الشيء :أسرع إليه ، وقال الزَّجاج : هو من هوى يهوي ، من هوى النَّفس : أي زيَّن له الشَّيْطان هواه [7] .

فالاستهواء استفعال ، أي طلب هوى المرء ومحبَّته ، أي استجلاب هوى المرء إلى شيء يحاوله المستجلب[8] .

" وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه فاتَّبع الشَّيَاطين من أهل الشِّرك بالله ، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حالة إسلامه ، المقيمون على الدِّين الحقِّ يدعونه إلى الهوى الذي هم عليه مقيمون ، والصَّواب الذي هم به متمسِّكون ، وهو له مفارق ، وعنه زائل ، يقولون له : ائتنا ، فكن معنا على استقامة وهدى ، وهو يأبى ذلك ويتَّبع دواعي الشَّيْطان ، ويعبد الآلهة والأوثان[9] " .

وما أجمل تشبيه هذه الحالة بحالة من سيطرت عليه الشَّيَاطين وزيَّنت له سوء عمله فرآه

---

(1) القاموس القويم 2/311 .

(2) التحرير والتنوير 7/301 .

(3) لسان العرب 6/4728 .

(4) مجاز القرآن 1/196 .

(5) إبراهيم من الآية 37 .

(6) جامع البيان 11/450 ، 451 .

(7) الجامع لأحكام القرآن 7/18 . وينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/262 .

(8) التحرير والتنوير 7/301 .

(9) جامع البيان 11/451 .

حسنًا ، ف " شبهت بهذا التمثيل حالة من فرض ارتداده إلى ضلالة الشِّرك بعد هدى الإسلام لدعوة المشركين إياه وتركه أصحابه المسلمين الذين يصدُّونه عنه ، بحال الذي فسد عقله باستهواء من الشَّيَاطين والجِنِّ ، فتاه في الأرض بعد أن كان عاقلا عارفًا بمسالكها ، وترك رفقته العقلاء يدعونه إلى موافقتهم[1] " .

ولكن لم يكن الله – ﷻ – ليترك أهل الدنيا في خضم هذا الهوى، يعيثون ويسيحون في الأرض فسادًا ، تتحكَّم فيهم أهوائهم ، وتسيِّرهم شهواتهم ، ويتَّبِعون سُبُل شياطينهم ، بل كان لابد من توضيح المنهج حتى تتَّضح الرؤية ، وتزول الغُمَّة ، وينقشع الظَّلام ، فتثبت الحُجَّة .

لذلك جاءت الآية الكريمة " تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه – ﷺ –على حُجَّته على مشركي مكَّة من عبدة الأوثان : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربِّهم الأوثان والأنداد والآمرين لك باتِّباع دينهم وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجرًا أو خشبًا لا يقدر على نفعنا أو ضرِّنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميِّزون بين الخير والشَّرِّ ، فلا شكَّ أنَّكم تعلمون بأنَّ خدمة ما يُرْتَجى نفعه ويُرْهب ضرُّه أحَقُّ وأولى من خدمة مَنْ لا يرجى نفعه ولا يخشى ضرُّه ﴿ **وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا** ﴾ ... ونرد على أدبارنا فنرجع القهقري خلفنا لم نظفر بحاجتنا...وإنَّما يراد به في هذا الموضع: ونُرَدُّ من الإسلام إلى الكفر بعد إذ هدانا الله فوفَّقنا له، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرَّجل الذي استتبعه الشَّيْطان يهوي في الأرض حيران[2] " .

فهذه صورة معنوية حيَّة تتجسَّد فيها حالة الحيرة التي يقع فيها هؤلاء ، ارتباك يمزِّق قلوبهم ، وتشتُّت يضعف إيمانهم ، وكأنَّها صورة رجل ينظر بطرف عينه يمنة ويسرة ، تارة إلى هنا وتارة إلى هناك ، حالة من الصراع الداخلي والخارجي ، بين إيمان يدفعه إلى قبول الحَقِّ ، وإلى كفر يدفعه إلى رفضه ، والشَّيْطان مِنْ خلفه يزيِّن له كل سوء ، ويدفعه إلى كل قبيح ، وفي الوقت نفسه له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا " إنَّه مشهد حيٌّ شاخص متحرِّك للضَّلالة

---

(1) التحرير والتنوير 302/7 .

(2) جامع البيان 450/11 .

والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التَّوحيد ، ومن يتوزَّع قلبه بين الإله الواحد ، والآلهة المتعددة من العبيد ! ويتفرَّق إحساسه بين الهدى والضَّلال ، فيذهب في التيه ، إنَّه مشهد ذلك المخلوق التعيس :- ﴿ ٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ - ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لمدلوله- ويا ليته يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه ، فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد - ولو في طريق الضَّلال ! - ولكن هناك ، من الجانب الآخر ، أصحاب له مهتدون ، يدعونه إلى الهدى ، وينادونه ﴿ ٱئْتِنَا ﴾-وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدُّعاء ﴿ حَيْرَانَ ﴾ لا يدري أين يتَّجه ، ولا أي الفريقين يجيب ! إنَّه العذاب النَّفسي يرتسم ويتحرَّك ، حتى ليكاد يحسُّ ويلمس من خلال التعبير[1]! "

والآية الكريمة تهدف إلى " تأييس المشركين من ارتداد بعض المسلمين عن الدِّين ، فقد كان المشركون يحاولون ارتداد بعض قرابتهم أو من لهم به صلة[2]" .

فهذه القلوب حيارى لا دليل لهم ، ولا قائد ينظِّم خطواتهم ومنهج حياتهم ، فغشاوة الباطل قد أغلقت عيونهم ، وطمست على بصيرتهم فلم يروا حقَّ الله حقًّا وظنُّوا الباطل صدقًا ، فكان الشَّيْطان أقرب إليهم ، فأظلَّهم في ظلِّ التِّيه والضَّلال ، وأبعدهم عن منهج السُّنَّة والكتاب ، أما عَلِم هؤلاء أن سبيل الله هو دليل الحائرين وأمل اليائسين ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3] .

الصُّورة التَّاسعة : سبيل الوحي (و ح ى)

على كلمة سواء يجتمع هدف الشَّيْطان وأوليائه المؤمنين به ، حيث يعرض الشَّيْطان تعاليم الباطل عند عرض الرَّحمن - ﷻ - تعاليم الحَقِّ ، وذلك عن طريق الوحي الذي يقذفه في قلوب أوليائه ، حيث يقدِّم لهم مائدة شهيَّة فيها من أنواع المأكولات ما لذَّ وطاب ، وذلك بما يوافق طبائعهم غير السَّويَّة وفطرتهم غير المستقيمة ، فتشبع بطونهم وتزداد شهواتهم ولكن تجوع قلوبهم وتظمأ عقولهم .

والوحي هو : الإشارة ، والكناية ، والرِّسالة ، والإلهام ، والكلام الخفي ، وكل ما ألقيته

(1) في ظلال القرآن 2/1131 ، 1132 .

(2) التحرير والتنوير 7/299 .

(3) الأنعام من الآية 71 .

إلى غيرك ، ويقال : وحَيْتُ إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلِّمه بكلام تخفيه[1] .

ويقال : وَحَى له يحي وحْيًا : قذف في قلبه شيئًا وأعلمه إياه في سرعة وخفاء[2].

إذًا فالوحي : هو الكلام الخفي ، كالوسوسة وأريد به ما يشمل إلقاء الوسوسة في النَّفس من حديث يزوَّر في صورة الكلام[3].

ومن خلال آيتين نصَّ القرآن الكريم على هذا الوحي الشَّيْطاني:-

الآية الأولى : قال الله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[4] .

فالآية تذكير من الله – ﷻ – لنبيِّه محمد – ﷺ – بأنَّ ما حدث له من قومه سنَّة كونيَّة ، فقبول وحي الشَّيَاطين من تزيين الباطل وتجميله وعرضه في صورة الحَقِّ حتى يخدع أولياءه لم يكن من مشركي مكَّة فقط ، بل هو عنوان عام في كل أعداء الرُّسُل والأنبياء ، حيث : " يقول تعالى مسلِّيًا لرسوله محمد – ﷺ – : وكما جعلنا لك أعداء يردُّون دعوتك ، ويحاربونك ، ويحسدونك ، فهذه سنتنا ، أن نجعل لكل نبيٍّ نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجنِّ، يقومون بصدِّ ما جاءت به الرُّسُل﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ أي يزيِّن بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل ، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة ، ليغتر به السُّفهاء ، وينقاد له الأغبياء ، الذين لا يفقهون الحقائق ، ولا يفقهون المعاني ، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة ، والعبارات المموهة ، فيعتقدون الحقَّ باطلا والباطل حقًّا[5] ... " .

فحقيقة هذه الصُّورة هي " أنَّ إبليس – فيما ذكر – جعل فرقة من شياطينه مع الإنس ، وفرقة مع الجِنِّ ، فإذا التقى شَيْطان الإنسيِّ وشَيْطان الجنيِّ قال: أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضل به صاحبك ، ويقول له شيطان الجنيِّ مثل ذلك ، فهذا وحي بعضهم على بعض[6] " .

---

(1) الصحاح 2520/6 . وينظر : المفردات ص 809 ، ولسان العرب 4787/6.

(2) القاموس القويم 324/2 .

(3) التحرير والتنوير 10/8 .

(4) الأنعام من الآية 112 .

(5) تيسير الكريم الرَّحمن ص269 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 284/1 ، والتحرير والتنوير 8/8 .

(6) معاني القرآن للفراء 351/1 . وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 366/1 .

ومن هنا فإن " شَيَاطين الجِنِّ يلقون الخواطر المقدَّرة على تعليم الشَّرِّ إلى شياطين الإنس ، فيكونون زعماء لأهل الشَّرِّ والفساد[1] " .

وعلى ذلك فإن " هؤلاء الشَّيَاطين – من الإنس والجِنِّ – الذين قدَّر الله أن يكونوا عدوًّا لكل نبيٍّ ، يخدع بعضهم بعضًا بالقول المزخرف الذي يوحيه بعضهم إلى بعض – ومن معاني الوحي التأثير الداخلي الذي ينتقل به الأثر من كائن إلى كائن آخر – ويغر بعضهم بعضًا ، ويحرِّض بعضهم بعضًا على التمرُّد والغواية والشَّرِّ والمعصية[2] " .

ثم يأتي الوحي الشَّيْطاني في الآية الثانية في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[3] .

فوحي الشَّيَاطين في الآية يتَّجه نحو الوسوسة ، حيث " يوسوس الشَّيْطان لوليِّه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل[4] " .

والجدال بالباطل في الآية يتَّجه إلى تصوير حال مشركي مكَّة وما أوحى به الشَّيَاطين في قلوبهم من وسوسة خبيثة تجعلها دائمًا في حالة دفع للحَقِّ وقبول للباطل، وذلك بتغيير شرع الله الذي شرعه لهم، حيث " إنَّ المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة ، وتحليله للمذكَّاة ، وكانوا يستحلُّون أكل الميتة قالوا معاندة لله ورسوله ، ومجادلة بغير حُجَّة ولا برهان أتأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك الميتة ، وهذا رأي فاسد ، لا يستند على حُجَّة ولا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحَقُّ تبعًا لها لفسدت السَّماوات والأرض ، ومن فيهن ، فتبًا لِمَنْ قدَّم هذه العقول على شرع الله وأحكامه ، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصَّة ، ولا يستغرب هذا منهم ، فإنَّ هذه الآراء وأشباهها صادرة عن وحي أوليائهم من الشَّيَاطين ، الذين يريدون أن يضلُّوا الخلق عن دينهم ، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السَّعِير[5] " .

---

(1) التحرير والتنوير 10/8 .

(2) في ظلال القرآن 1189/3 .

(3) الأنعام الآية 121 .

(4) معاني القرآن وإعرابه 287/2.

(5) تيسير الكريم الرَّحمن ص271 . وينظر : المحرر الوجيز 140/6.

فهل هذه هي العقول التي تريد أن تكون لها قيمة في المجتمعات الإنسانية وهي ما زالت تفكر بفكر الجاهلية ؟ فمن أين تأتي الحضارة التاريخية والنَّهضة في جميع المجالات الإنسانية والفكر البائد يسيطر على جميع أركانها ؟ فهل ترقى المجتمعات بفكرها وحضارتها عندما تَغِيب أو تُغَيَّب عن منهج ربِّها ؟ .

فليعلم هؤلاء وأمثالهم ممن يسيرون على نهجهم بأنَّ وحي الشَّيْطان هدفه خداع أوليائه ، وكف أبصارهم عن عيون الحقيقة ، وذلك بمعارضة شرع لله ومنهجه ، واتِّباع العقول الزائفة التي لا تبغي إلا التَّحريف والتَّبديل ، ولكن : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] ، فحكم الله ماض حتى ولو كان الشَّيْطان سيفًا مسلطًا على رقاب وقلوب العباد ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

فليصدح الشَّيْطان وليغرِّد في سماء الخارجين عن حدود الله ، وليتشكَّل بجميع صوره وأشكاله ، وليقدِّم جميع سُبُله وإمكاناته ، فهذا بحره الذي يجيد السِّباحة فيه ، وملعبه الذي يقدم فيه جميع مهاراته ، ولكن عالم الأنبياء والرُّسُل ، والصَّالحين من عباد الله – ﷻ – فبينه وبينهم حجاب ، يحجب عنهم ظلامه الدَّامس وخبثه الدَّفين ، فنور العلم يهديهم ويبصِّرهم بأمور دينهم ودنياهم ، فالصَّلاح عنوانهم ، والخير طريقهم ، والجَنَّة – بإذن الله – عاقبة أمرهم ، والنهاية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3] .

(1) التوبة من الآية 32 .

(2) المائدة من الآية 50 .

(3) النساء من الآية 13 ، والآية 14 .

الخاتمة

الحمد لله وليُّ الصَّالحين ، والصَّلاة والسَّلام على قاهر الشَّيَاطين، ورحمة الله للعالمين – محمد بن عبد الله ﷺ – وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد،،،،

فقد قَدَّمت هذه الدِّراسة أربع رسائل ، كل رسالة منها تحمل لغة من لغات الشَّيْطان يتوجَّه بها إمَّا إلى قلوب عباد الله – ﷻ – من بني البشر عامَّة بكل صراحة ووضوح ، أو باستحياء إلى الرُّسُل والأنبياء خاصَّة ، وكذلك الصَّالحين ، وبكل جرأة وشجاعة إلى الخارجين عن حدود الله الضالِّين عن سبيله ، وذلك في إطار عدَّة صور ، كل صورة منها تحمل سبيلا من سُبُله ، ورمزًا من رموز مكره وكيده ، تتراءى أمام الصَّالحين فيجتنبوها ، وتختفي أمام المفسدين فيتَّبِعوها .

وحتى تبلغ هذه الدِّراسة مبلغ الشباب فتنهض فتِيَّة قويَّة ، كان لابد من أن تكون الفائدة واضحة جليَّة ، حتى لا تقف العقول والقلوب أمام سُبُل الشَّيْطان سلبيَّة ، فتستمسك بكتاب ربِّها ، وبهدي نبيِّها تكون محميَّة .

ومن هذه الفوائد والنَّتائج التي يمكن أن تخرج بها هذه الدِّراسة:

(1) عرض القرآن الكريم ثلاثين سبيلا من سُبُل الشَّيْطان ، كل سبيل منها يحمل وجهًا من وجوه الشَّرِّ الذي تعدَّدت أشكاله ، واختلفت صوره وألوانه ، ولكن مع انتقال بعض السُّبُل من عالم إلى عالم آخر .

(2) من خلال ست صور في القرآن الكريم توجَّه الشَّيْطان بسُبُله إلى بني البشر عامَّة ، ثم بسبع إلى الأنبياء والمرسلين ، وثمان إلى الصَّالحين من عباد الله ، ثم تسع إلى الخارجين عن حدوده .

(3) الإحصائية السَّابقة تؤكد أن سُبُل الشَّيْطان مع الخارجين عن حدود الله تحتل النصيب الأكبر ، وهذا لا غرابة فيه ، فهذا عالمه الذي يحيا فيه ، وله القلوب تركع وتسجد .

(4) قد يظهر الشَّيْطان بسبيل واحد لثلاث من أصحاب الرَّسائل السَّابقة ، كما كان في

سبيل (الخُطُوات) و(الزَّلل) و(العمل)، فالأول والثاني مع أنبياء الله ورسله والثالث مع بني البشر عامَّة ، ثم يتوجَّه بها جميعًا إلى الصَّالحين من عباد الله – ﷻ – .

(5) يتشكَّل الشَّيْطان ويتلوَّن غالبًا بما يتوافق مع أهواء وقلوب وطبائع بني البشر ، فللكفر والضَّلال صور وللنِّفاق صور أخرى ، ولكنَّه مع أنبياء الله ورسُلُه والصَّالحين يظهر لهم تشبيهًا وتخويفًا ، ومع بني البشر عامَّة والخارجين عن حدود الله – ﷻ – انتقامًا منهم واستئصالا لهم ، ولكن هدفه واحد وإن تغيَّرت صوره وأشكاله .

(6) قد يقسم الشَّيْطان على الإضلال في إحدى سُبُله دلالة على عزمه وجدِّه في أن يبرَّ بقسمه في عالم البشريَّة جميعًا دون تحديد طبقاتهم مثل سبيل (الإتيان) و (الاحتناك) و (الضَّلال) و (القعود) ، أما عالم الأنبياء والصَّالحين فيتقدَّم إليهم على استحياء أملا ورجاء ، لكنَّه أمل اليائسين ورجاء الخائفين .

(7) كيد الشَّيْطان وإن ظهرت علامات قوَّته وسيطرته على كثير من بني الإنسان ، إلا أنَّه ضعيف في حقيقة أمره يهوى أمام القلوب التي لا تخشع ولا تذل إلا لخالقها سبحانه وتعالى .

(8) من سُبُل الشَّيْطان ما هو خاصٌّ بمجال الأسماء دلالة على ثبوت مكره وخداعه ، فصورته قد لا تتغيَّر في بعض الأحيان ، وذلك مثل سبيل (الأزِّ) و (الخُطُوات) و (الرِّجْز) و (الطَّائف) و(العمل) و (الكيد) و (النَّجْوى) و (الهَمَزَات) ومنها ماهو خاص بمجال الأفعال دلالة على تجدُّد كيده وخداعه وتشكُّله بأشكال وصور مختلفة ، مثل تلك السُّبُل التي عبَّر عنها القرآن الكريم بـ (لآتينَّهم) و (استفزز) و (تتلو)و(لأحتنكنَّ)و(يتخبطه)و(فأزلَّهما)و(استزلَّهم) و (زيَّن) و(سوَّل) و(يضلهم) و (لأقعدَنَّ) و (ألقى) و (ينسينَّك) و(استهوته) و(يوحي) , و(فوسوس) .

(9) قد يمتلك الشَّيْطان والخارجون عن حدود الله سهامًا واحدة في إضلال الصَّالحين وامتلاك قلوبهم مثل سبيل (الاستفزاز) الذي كان من سُبُل الشَّيْطان ، ثم فرعون واليهود من بعده .

(10) قد يكون سبيل الشَّيْطان واحدًا لا تتعدَّد صوره ولا تختلف أشكاله ولا ينسب الإ له

، وذلك من خلال لفظ فريد وحيد الاستعمال في القرآن الكريم . وهو سبيل (الأزِّ) و (الاحتناك) و (التخبُّط) و (النَّزغ) .

(11) تارة يعرض القرآن الكريم سُبُل الشَّيْطان إجمالا دون تفصيل لها في بعض الآيات ، وتارة يقدِّمها بالتَّفصيل في آيات أخرى، ثم قد يتَّجه بها في بعض الأحيان إلى النَّاس عامَّة ، وفي أحيان أخرى إلى عباد الله الصَّالحين خاصَّة ، مثل سبيل (الخُطُوات).

(12) قد يأتي سبيل الشَّيْطان مع تعليله مثل سبيل(الوسوسة)، وتارة يأتي كرسالة من الله – ﷻ – لاجتنابه مثل سبيل (الفتنة) و (النِّسيان) ، وتارة يأتي تمثيلا وتشبيهًا مثل سبيل (الاستهواء).

(13) يعتري النَّفْس البشريَّة الوهم والضَّعف في كثير من الأحيان فيتخيَّر الشَّيْطان الوقت المناسب لبثِّ سمومه ، وإثارة مشاعر الإنسان وأحاسيسه ، فيستجيب من حيث لا يدري .

(14) عصم الله الأنبياء والمرسلين من مكر الشَّيْطان وكيده فلا سلطان له عليهم ، إنَّما سلطانه على أصحاب الهوى والشَّهوات، ومَنْ تهفو قلوبهم لإثارة الشُّبهات .

(15) سُبُل الشَّيْطان مجرد خواطر أو هواجس تسرى في النَّفس البشريَّة لا سلطان لها عليها ، فلها القول الفصل في قبولها أو رفضها ، فإذا كان للشَّيْطان سُبُله وصوره التي تتجسَّد في فعل المنكرات والقبائح التي تهدي إلى سُبُل الحزن والبلاء ، فهناك منهج الله وشرعه الذي يدعو صاحبه المستمسك به إلى السَّعادة والسُّرور.

(16) قد تبدو بعض سُبُل الشَّيْطان يسيرة في بداية الأمر ، وذلك عندما يتمُّ عرضها في صورة الصَّغائر ، ثم ما تلبث أن تتحوَّل إلى كبائر ، فالتَّدريج من أيسر السُّبل لمن يبغي تحقيق المراد .

(17) صور الشيطان وسُبُله من طرق الابتلاء والاختبار حتى يتبيَّن الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، فيتهاوى مَنْ في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وتثبت أقدام الذين آمنوا ويزادوا إيمانًا كما في سبيل (الإلقاء) .

وفي الختام فهذا هو قرآن ربِّنا – ﷻ – الذي أنزله على نبيِّه محمد – ﷺ – منذ أربعة عشر قرنًا ، تلهج به ألسنتنا ، وتطمئن به قلوبنا ، يوضِّح لنا سُبُل الشَّيْطان وطرق مكره وخداعه ،

حتى لا تتشكَّل عقولنا بفكره فنتأسَّى بمنهجه ونقتفي أثره فيستحوذ علينا ويستعبد قلوبنا فنكون من حزبه ، وحزبه هم الخاسرون ، بل لنقف مع أنفسنا وقفة إيمان ويقين ، لا نخاف ولا نخشى إلا خالقنا ، فلا تنبض قلوبنا إلا بحبِّه ، ولا تستجيب عقولنا إلا لشرعه ، حتى تذهب كلُّ وساوس الشَّيَاطين ومكر الماكرين وكيد الكائدين إلى عذاب النَّار وبئس المصير .

فالشَّيْطان لا عهد له ولا ذمَّة ولا دين ، ولا وفاء ولا ميثاق ، فوعده أوهام ينثرها في خيالات بني البشر ، وعهده سراب يخدع به الضِّعاف الذين تلين جلودهم وقلوبهم من خشيته .

فهو يدعوك أيُّها الإنسان إلى الكفر والضَّلال ، والتيه والغيِّ والفساد ، ويوم القيامة هو بريء منك ، لا يرعى لك حرمة الصَّداقة ، أو رحم المودة والمحبَّة ؛ لأنَّه يخاف ربَّه ولا يخشى سواه .

وهذا هو كتاب ربِّنا – ﷻ – ينطق بتلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

فهل تنتظر سوء الخاتمة وتتمنَّى سوء العاقبة ، فتحشر معه ومع حزَّبه كما قال ربُّنا – ﷻ – : ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

فالشَّيْطان لن يقدِّم لك يوم القيامة اعتذارًا ، ولن يكون لك شفيعًا أو صديقًا ، بل يذكرك بوعد ربِّك الحقِّ الذي تجاهلته أو تناسيته، بل يعاتبك أن اتَّبعت مسلكه ، وانتهجت نهجه فأصبح له سلطان عليك ، فتحكَّم فيك هواك الذي لم تسيطر عليه ولم تكبح جماحه ، فادع هواك حتى ينجيِّك ، وخاطب قلبك حتى يعزِّيك ، واصرخ على شيطانك حتى يفديك أو يفتديك ، فلن تجد نجاة ولا عزاء ولا فداء ، ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

---

(1) الحشر الآية 16 .

(2) الحشر الآية 17 .

(3) إبراهيم الآية 22 .

فهرس المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم

1- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنَّا الدمياطي . حقَّقه د. شعبان محمد إسماعيل – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م .

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

3- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د. محمد بن محمد أبو شهبة – مكتبة السُّنَّة – الطبعة الرابعة .

4- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه . حقَّقه د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين – مكتبة الخانجي – القاهرة – مطبعة المدني – الطبعة الأولى 1413هـ -1992م .

5- البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي . تحقيق د. عادل أحمد عبدالموجود وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1422هـ - 2001م .

6- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة للهيثمي. تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري – مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – الطبعة الأولى 1413هـ - 1992م .

7- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق. أحمد عبد الغفور عطَّار – دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة 1404هـ - 1984م .

8- التَّحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور – دار سحنون – تونس – 1997م .

9- تفسير ابن أبي حاتم . تحقيق . أسعد محمد الطيب - المكتبة العصرية – صيدا .

10-تفسير السِّرَاج المنير للشربيني – دار الكتب العلمية – بيروت.

11-تفسير القرآن العظيم لابن كثير - مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م .

12-تفسير مجاهد . تحقيق . عبد الرحمن الطاهر السورتي – المنشورات العلمية – بيروت .

13-تفسير مقاتل بن سليمان . تحقيق . أحمد فريد – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.

14-تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السَّعدي). حقَّقه . عبد الرحمن بن معلا – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م .

15-جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري . تحقيق . أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى1420هـ - 2000م .

16-الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق . هشام سمير البخاري – عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية – 1423هـ - 2003م .

17-الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدى . حقَّقه د . على حسين البواب – دار بن حزم – بيروت – لبنان – 1423هـ - 2002م .

18-الدُّر المنثور للسيوطي – دار الفكر – بيروت 1993م .

19-دلائل التَّحقيق لأبطال قصة الغرانيق (رواية ودراية) . على بن حسين بن على بن عبد الحميد الحلبي الأثري – مكتبة الصحابة – جدَّة – مكتبة التابعين بالقاهرة – 1412هـ - 1992م .

20-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

21-السَّبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف – دار المعارف – الطبعة الثالثة 1400هـ .

22-سلسلة الأحداث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمَّة. محمد بن ناصر الألباني– دار المعرفة – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولي 1412هـ -1992م .

23-سنن البيهقي الكبرى . تحقيق . محمد عبد القادر عطا – دار الباز – مكة المكرمة – 1414هـ - 1994م .

24-شرح ابن عقيل . تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر – دمشق – 1985م .

25-فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التفسير للشوكاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان .

26-في ظلال القرآن . سيد قطب – دار الشروق العلمية – الطبعة الشرعية السابعة عشرة 1410هـ - 1990م .

27-القاموس القويم للقرآن الكريم . إبراهيم عبد الفتاح – 1404هـ - 1983م .

28-الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى – دار الكتاب العربي .

29-لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) – دار الفكر – بيروت – لبنان – 1399هـ - 1979م .

30-لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . علي عبدالله الكبير وآخرين – طبعة دار المعارف .

31-مجاز القرآن لأبي عبيدة معمَّر بن المثني . علَّق عليه . محمد فؤاد سزكين – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1374هـ - 1954م .

32-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي . تحقيق . المجلس العلمي بفاس 1400هـ - 1980م .

33-مصنف ابن أبي شيبة . تحقيق . محمد عوامة – الدار السلفية الهندية القديمة .

34-معالم التنزيل (تفسير البغوي) . حقَّقه . محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة – الطبعة الرابعة 1419هـ - 1997م.

35-معاني القرآن للفراء . تحقيق . أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار 1955م .

36-معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج . تحقيق . د. عبد الجليل شلبي – دار الحديث – القاهرة - الطبعة الثانية 1418هـ-1997م .

37-المعجم الكبير للطبراني . تحقيق . حمدي عبد المجيد السَّلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – الطبعة الثانية 1404هـ - 1983م .

38-مفاتيح الغيب للفخر الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م .

39-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني – مكتبة الأنجلو المصرية 1970م .

40-مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق . عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت– الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م .

41-نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م .

فهرس الموضوعات

الموضوع | **رقم الصفحة**